ديستوبيا

لا يجوز نشر هذا الكتاب أو أي جزء منه بأي شكل من الأشكال أو نسخ مادته بطريقة الاسترجاع، أو نقله على أي نحو بطريقة إلكترونية أو بالتصوير أو ترجمته إلى أية لغة أخرى دون الحصول على موافقة الناشر والمؤلف مقدمًا.

All Rights Reserved. No part of this publication may be reproduced, stored in a retrieval system, or transmitted, in any form or by any means, electronic, mechanical, photocopying, recording, or otherwise, without the prior written permission of Bibliomania Ltd.

- **الكتاب: ديستوبيا**
- **المؤلف: أنيس البرعصي**
- **نوع العمل: رواية**
- **الطبعة الأولى 1440 هـ - 2019 م - القاهرة**
- **الناشر: ببلومانيا للنشر والتوزيع – مصر**

- **رقم الإيداع : 2019 / 17780**
- **الترقيم الدولي (ISBN 978-977-6754-32-4**
-

- تنسيق وإخراج: فريق إعداد ببلومانيا
- المدير العام: جمال سليمان
- العنوان: عنوان (1): 15 شارع السباق – مول الميريلاند – مصر الجديدة
  عنوان (2): 29 شارع الكمال – الأميرية – القاهرة
- تليفاكس: 002022402029 - 002026061014
- محمول: 00201208868826 – 00201065534541 – 00201210826415
- صفحة الدار على موقع فيسبوك: https://www.facebook.com/bibliomania.eg/
- الموقع الإلكتروني: www.bbibliomania.com

كل ما ورد في هذا الكتاب من أخبار وأحداث وآراء يعبر فقط عن رأي الكاتب، ولا يعبر بالضرورة عن رأي الناشر، ودون أدنى مسؤولية على دار ببلومانيا للنشر والتوزيع

ديستوبيا

رواية

أنيس البرعصي

www.bbibliomania.com

إهداء

إلى كل من لم يحالفهم الحظ بالتعرف على جُثثهم في المشرحة، إلى كل من دفنوا بملابس نومهم بلا جنائز، ولم يناموا على تهويدة في طفولتهم.

أهدي هذا العمل لأرواحكم المبتورة.

*****

تنويه

بعض الشخصيات المذكورة في هذه الرواية حقيقية، قد تكون في بلدك
أو في المريخ.

المهم أنهم قد كانوا بيننا يومًا.

*****

مرحبًا بك في بلد النيران الصديقة والأخطاء التحكيمية
حيث نقتلك ثم نطرح الأسئلة

إنها الساعة الرابعة فجرًا
لقد أنزلوا راية البلاد بساحة السجن تجهيزًا لطقس متعارف عليه دوليًا.
قُبيل تنفيذ حكم الإعدام بحق سجين، لكن اليوم لا يبدو يومًا جيدًا للموت.
على كل حال
مع أني أعمل بهذه المهنة منذ قرابة 6 سنوات إلا أنني وللمرة الأولى أشرب قهوتي باردة وبلا سجائر.
باردة بسبب تعطل السخان الكهربائي فجأة، ولا وقت لدي لإشعال الفحم.
أما السجارتان اللتان كنت قد خبأتهما في جوربي تفاديًا لتسوّل السجناء والحراس فقد أفسدتهما بركة الأمطار التي انزلقت بها بينما كنت في طريقي إلى غرفة الإعدام قبل ساعة.

"الكهرباء انقطعت بسبب العاصفة الرعدية التي ضربت إحدى محطات التوليد بالسجن.

سيعود بعد قليل." قال أحد الحراس - بينما يمر أمام الغرفة محدثًا أحدهم -.

هذا يعني أن السخان لم يتعطل؟

لا بأس بخبر سار صغير كهذا ليكون محفزًا بديلًا للنيكوتين المحترق لإنجاز عملك وبدء يومك الذي لا تبدو ملامحه سعيدة، حتى الآن.

في الجهة المقابلة أصوات أقدام تتقدم مسرعة وسلاسل ترتطم بالأرض مع كل خطوة.

إنهم قادمون

وقفت متأهبًا

"إن تنفيذ الإعدام لأول مرة أشبه بليلة الدخلة (1)"

ومن ثم بعد ذلك تعتاد على النمط والطقوس وتزول رهبتك شيئًا فشيئًا فتصبح ممارستك مجرد تأدية واجب وتتحول إلى آلة قتل صماء.

"لم ينتابني الأسف يومًا حيال مهمتي تجاه المجرمين طيلة هذه السنوات سوى مرة واحدة فقط، كان المحكوم امرأة حاملًا، انتظروها حتى وضعت مولودها وترضعه حليبها لمدة سنتين حتى بلغ الفطام،

ثم قاموا بنزعه منها وأرسلوه إلى دار الأيتام وأرسلوها هي إلى غرفة الإعدام.

يقولون بأنها قتلت زوجها بينما كان نائمًا، لا يهمني هذا بقدر ما أذكر كيف كانت تلعب مع صغيرها وتداعبه وفرحتها يوم أن بدأ بتعلم المشي حتى يوم ارتدائها بدلة الإعدام، وصراخ طفلها الحاد وهم ينزعونه منها كأنه يسلخ حيًا أو يحترق، بينما كانت عيناها الحمراوان غارقتين في جحيم الوداع الأخير. (2)"

في الممر يتقدم شاب مكبل ببدلة الإعدام الحمراء ورأسه مغطى بكيس من القماش الأسود، وقف وبجانبه حارسان

وآمر السجن وعضوان من اللجنة القضائية ورجل دين، وأنا أنظر له مباشرة، مع أن مصيره بين يدي كغيره ممن سبقوه وسيموت بعد دقائق

لكنه بدا لي مختلفًا عنهم تمامًا.

لم تكن خطواته ثقيلة نحو غرفة الإعدام أو جاثيًا على ركبتيه وهم يجرونه كذبيحة، لم يتبول على نفسه، لم يطلب أن يرى أمه أو حتى يستجدي أو يصرخ بأنه مظلوم، كان يتقدم وكأنه يسير على سجادة حمراء بين حشود من الصحفيين و"فلاشات "الكاميرات والجماهير، بدا كأنه نجم سينمائي بهوليوود يتقدم لاستلام الأوسكار للمرة الثالثة عشر، وكأن الأمر روتيني بالنسبة له، وكأنه مات لعدة مرات وبمختلف الأشكال وجرب مذاق النهاية بكل النكهات، كان يريد إنهاء الأمر فحسب.

ظل صامتًا حتى أمضيت على إجراء استلامه وأتممت ما يجب بحقه دون أن يلفظ بحرف، اقتربت منه وسألته عن قرب وباهتمام على غير عادتي كردة فعل على برود موقفه:

ألا تريد صلاة أخيرة حتى؟ لم يرد.

كررت سؤالي بنمط آخر وبصوت أعلى وبنبرة أشد حدة، لم ينطق ببنت شفة، وكأنه قد ابتلع لسانه!

أعرف شعور خوض اللحظات الأخيرة حينما يمر شريط حياتك كاملًا أمام عينيك وتغرقك الحسرة على أشياء ارتكبتها وأخرى تتمنى المزيد من الوقت لترتكبها.

يتراجع رجل الدين خطوتين وأنا بدوري خطوة واحدة، يتم إلقاء الخطاب الأخير على جريمته اليتيمة، وهو مطأطأ رأسه نحو الأسفل تارة وناظراً للأعلى تارة أخرى، ولا شيء يراه غير السواد الدامس
كمصيره الذي ينتظره.

يأمر آمر السجن بالشروع في تنفيذ الحكم.
حبست أنفاسي وسحبت بلا تفكير الذراع المعدني البارد لتفتح أسفل قدميه الأرضية المتحركة فيهوي مُترنحًا كتفاحة فاسدة تتدلى من غصن ميت تضربه الرياح.

تأكدنا من مغادرته هذا العالم الآثم بطابع بريد نحو العالم الآخر.
إنها مهمتنا نحن حراس بوابة الموت، تسليمهم إلى ملائكة العذاب ووضعهم بين يدي ربهم، لكننا لسنا" أنوبيس"، نحن حقيقة واقعة،
"ولم يسبق أن عاد أحدهم من قبره لينكرنا"

بعد الانتهاء، خرجت من بوابة السجن نحو المحطة والأسئلة تحرث جُمجمتي واستقليت الباص عائداً إلى بيتي.

في نصف الطريق طلبت من السائق منْحي سيجارة لأقدمها كرشوة لدماغي ليفسر لي هدوء ذلك الشاب البارد، وحين التفت إليّ بسيجارته توقف كل شيء عن الحياة، أو بالأحرى انتهى دون مقدمات، وكأن الشمس انطفأت !!.

*****

ظلام دامس كقبر

صوت طنين أجهزة ورائحة كيميائية لا أحبها، انهيار عصبي، خلل في الإدراك، صعوبة في التنفس، لا أستطيع أن أقول بأنني استيقظت يومها، لأن كل شيء كان مُعتمًا لا أعلم ما الذي حدث لكنني أشعر بأنني أرتدي الكيس الأسود، أعني الذي ألبسته لذلك السجين صباح اليوم، جفوني ملتصقة ببعضها بسبب الإفرازات المُتيبسة، لساني لا أشعر به، لُعابي يسيل، مغص يُمزق أمعائي كما لو أنني تناولت قُنفذًا على الإفطار، رأسي يوخزني، أشعر بأنهم قد دقّوا به مسمارًا، بل مئات المسامير، هذا أقرب وصف للصداع اللعين"

نبضي ضعيف، الأعراض اللعينة التي تحاصرني تخبرني بطريقة ما بأنني استبدلت دوري مع من أشنقت، أحاول النهوض، لكن جسدي لا يستجيب!

صوت عن يميني:

عليك أن ترتاح، وأن تخبرني: ما اسمك الثلاثي؟

هل تذكر شيئًا؟

- بقيت صامتًا وأهمس برعب في نفسي: من هذا؟

أيعقل بأنني قد اخْتُطفت؟

لكن لا أعداء لي، سؤال غبي، إن حتى كل من رأوني ماتوا مباشرة في تلك الغرفة وخرجوا هامدين في توابيت مغلقة.

ماذا حدث؟

أين أنا؟

صوت أُنثوي به بحّة خفيفة بالقرب من رأسي:

-يقول الطبيب بأنه يجب عليك ألا تقلق، علاجك متوفر، رغم تضرر عينيك إلا أنه يمكنك الإبصار مجددًا بعد العملية، وأنه ينبغي عليك أن تشكر الرب على نجاتك من تلك الحادثة فلم يحالف الحظ سواك، فقد كان الباص المعجون بجثث الركاب أشبه بعلبة سردين مدهوسة.

أستمع إلى خطوات الممرضة تبعد شيئًا فشيئًا ورفعت يدي المكبلة بالإبر والأنابيب بصعوبة لأتحسس فكّي المُهشم، وجهي المُغطى بالشاش كأنني مومياء فرعونية.

ما الذي حلّ بي، يا إلهي؟

يدي ترتجف وغُصة كريهة تخنق حلقي، يد ممتلئة بالشحم تسند رأسي على السرير وتقول:

- عليك أن ترتاح الآن.

إبرة باردة تخترق جلد ذراعي، مذاق معدني لاذع يتركه المخدر المسافر عبر الوريد، يشبه طعم أقطاب البطاريات، يجعل الوعي يتلاشى.

*****

اليوم الثالث:

أعتقد بأني استيقظت الآن أو ربما أحلم، لست متأكداً من ذلك فقد اختلطت عليّ الأمور وتشابهت ولم أعد أُمَيّز الليل من النهار!

الغرفة مظلمة، أم أن الكهرباء منقطعة!

الأمران سيان لشخص مُضمد العينين، أو بالأحرى أعمى مع وقْف التنفيذ.

كل شيء هنا أسود.

زقزقة العصافير الواقفة أعلى الشجرة التي تنقر أغصانها نافذة غرفتي كلما هبّت ريح خفيفة تخبرني بطريقة ما بأننا في الصباح، وأن الغيوم قد تلاشت كما تلاشى النور من عينَيّ.

صوت الممرضة:

-صباح الخير أيها المحظوظ، لدي خبر سار لك.

-آه، نعم، هل سأموت بعد 5 دقائق مثلًا؟ هذه هي الأخبار السعيدة التي من المفترض سماعها في هذا الصباح اللعين.

-تعوّذ من الشيطان.

ينفجر صارخًا بنبرة عصبية غاضبة:

-شيطان؟ وما ذنب الشيطان في الكوارث التي تصيبنا؟

الشيطان شماعة خطايا من أفسدوا هذا الكوكب النَتن الفاسد المشؤوم،

منذ هيروشيما وحتى سائق الباص القذر، ثم ما شأنك أنت؟ ارحلي من هنا، اغربي عن وجهي.

بخطوات سلسة سارت وهي تسدل الستائر وتغلق النافذة.

ثم قالت بنبرة هادئة توضح بأنها اعتادت التعامل مع هكذا انفعالات:

على كل حال هذا يوم سعدك، لقد حصلت على متبرع في وقت قياسي.

- من قال إنني أريد متبرعًا؟ أي خبر لعين هذا؟

حتى العصافير اللعينة توقفت عن التغريد حِدادًا على هذه الأخبار السيئة.

الممرضة:

-لم تتوقف، فقط، كتمت صوت التلفاز، فقد كان برنامجًا وثائقيًا عن طيور الغابات الاستوائية فحسب، تمهل وتوقف عن التصرف كصبيّ مُدلل.

يقول في نفسه:

"يبدو أن عيْش دور المتنبئ الذكي سيكلف رصيدي الشحيح من الأمل الكثير من الخيبات وينتهي بي الأمر أن أرهن نفسي لديون تخميناتي الخاطئة"

صوت الدكتور يتدخل فجأة:

عليك أن تهدأ فهذا الانزعاج سيؤخر شفاءك واندمال جراحك،

ويرفع ضغط دمك ويؤجل عمليتك.

سيعود كل شيء على ما يُرام وسترى مجدداً، أنا أضمن لك النتائج، لا تخف، ولا داعي لكل هذا الغضب يا ""عماد"".

ثم صمت لبرهة وأضاف:

أجريت عمليات مشابهة لحالتك وأكثر سوءاً وتكللت جميعها بالنجاح وأصحابها أبصروا النور مجدداً، بل إن أحدهم أصبح بطلًا في لعبة القنص، فقط اهدأ.

-لا أريد أن أشفى، أريد أن أغادر من هنا، أخرجوني من هنا.

يرد الدكتور بنبرة تكللها الجفاف مبدية رغبته في إنهاء الحديث:

سنجري لك العملية بعد تسعة أسابيع من اليوم، إن كنت رافضًا إجراءها فيمكنك الخروج يومها نحن نحترم رغباتك، ولكن اعلم جيدًا، إن هكذا فرص لا تصادفك إلا مرة في العمر، وتذكر أنك لن تشتري القرنية لعينيك بالسعر الزهيد في حال غيرت رأيك يومًا ما، وليس كل يوم ستصادف متبرعًا دون مقابل، في نهاية الأمر القرار قرارك.

ربّت على كتفي وغادر هادمًا آخر ذرة كبرياء في نفسي.

الليلة الثالثة على محادثتي غير اللطيفة مع الطاقم الطبي ولم أنم،

الكلاب لم تتوقف عن النباح في الخارج، وانقلب رأسي إلى طاولة مستديرة كبيرة يجلس حولها حظي والواقع والخيارات غير المتاحة

يلعبون الورق ويسألون: ماذا لديك لتخسره؟

*****

اليوم الأخير

مضى وقت طويل على انقضاء الأسبوع التاسع، أجريت العملية بطيب خاطر رغمًا عن أنفي، جازفت لأنه لا خيارات متاحة أمامي،
نزعوا عني الضُمادات، ولكن قلبي ظل مغمضًا للأبد، لم يخفق بشدة لحظتها، مع أنني كنت أتعرق بغزارة وأعصاب معدتي مُتشنجة وكل خلية بجسدي ترتجف، لكن قلبي لا.

جفّ حلقي وعجزت عن ابتلاع ريقي، يداي منقبضة وأنفاسي غير منتظمة كحال أسواق البورصة هنا، لم يكن الأمر سهلًا، فهي تسعة أسابيع من الظلام والذل والخجل المرعب، فقدت الكثير من وزني وشعري أيضًا، تسعة أشهر من حرمان معدتي من الشبع حتى لا يرافقني أحد

الممرضين المتذمرين لقضاء حاجتي في دورة المياه مرتان في اليوم، تسعة أسابيع من حبس البول في البرد وأصرخ مستنجداً بالطاقم الطبي وينتهي الأمر بسريري صباحًا كطفل أفرط في شرب الماء ليلًا.

تسعة أسابيع وسريري قذر كحظيرة خنازير، تسعة أسابيع من الظلام جعلت مني كتلة سوداء من القلق ونوبات الغضب، تسعة أسابيع أجريت بها تسع عمليات.

تسعة أسابيع والإبر والمشارط تتناوب على جسدي وعينَيّ، تسعة أسابيع جعلت مني شيطانًا أليفًا، لا يفكر بإرسال أحد إلى الجحيم

لكن رقم (9) هو رقم حظي.

بعد نزعهم للضمادات كانت جفوني ملتصقة ببعضها أكثر من أي وقت مضى، حاولت فتح عيني بصعوبة ولكن الضوء اخترقهما كرصاصة وزعت الصداع الحاد على رأسي بالتساوي، هذا الألم الكريه يعني بأن العملية قد تكللت بالنجاح!

تهانينا: يقول الطبيب، ومساعدته تلوّح لي بيدها لتلتقط مقلتي أبسط إشارة تتحرك بهما لتعرف مدى نسبة النجاح واستجابتي!

أزلت اللحاف ودفعت كلاهما جانبًا حتى كادا يسقطان فوق بعضهما كقوارير بولينغ.

هرولت بسرعة تجاه دورة المياه التي لم يسبق أن رأيتها ولكني حفظت خطواتي إلى هناك سابقًا، وخلفي دويّ سقوط طاولة الممرضة وبعض الأنابيب الملتصقة أطرافها بيدي أجرّها خلفي.

نظرت إلى وجهي في المرآة، رجع كل شيء كما كان، لكن هذا، لكن هذا ليس أنا.

خرجت من المشفى النتن بوجه ممتلئ بالخدوش والشقوق والغُرز تمامًا كجدار سجن، وعُدت إلى منزلي المتهالك الملاصق لصندوق الكهرباء الرئيسي بالحي الشعبي الذي يقع في طرف معزول من المدينة وتحاصره القمامة من كل جانب ويطل على بِرك من مستنقعات الصرف الصحي التي تتحول إلى بحيرة بلا تماسيح مع أول قطرة مطر.

إنه مثل أي حي أقل من عادي، يشتهر بالفقر والجهل والتخلف ويقدم الانتحار فيه كطبق شعبي وتطلق حوله الكثير من النكات العنصرية وينسبون له كل مصيبة تحل بهذه المدينة.

فتحت باب منزلي الذي أصبح مستعمرة للعناكب والفئران والذي بات واضحًا أنه بحاجة إلى أسابيع من العمل لينظف من أكوام الأوساخ والغبار التي تغطي كل بقعة فيه.

تقدمت وانزويت على مقعدي دون أن أخلع حذائي أو أبدل ملابسي وأخذت نفسًا عميقًا وبدأت أتحسس وجهي الذي أضافت له فترة إقامتي بالمشفى ملامح جديدة.

لعنت سائق الباص في قبره ولعنت الطريق إلى العمل والمطر والطقس والإبر وكل شيء جامد ومتحرك تسبب في ذلك الحادث،

وأخيرًا لعنت السجائر.

وبالحديث عن السجائر أعتقد بأني بحاجة إلى سيجارة، بحاجة إلى دخان يعيد ترتيب المشهد ويدحض هذا الصداع اللعين، رغم أن العملية تكللت بالنجاح إلا أن الصداع لم يفارقني منذ أن فتحت عينَيّ، ضغط دمي مرتفع طيلة اليوم بلا سبب، أثناء شرودي أطبقت جفوني محاولًا الاسترخاء قليلًا.

إنها المرة الأولى، بعد هذه المدة العصيبة اللعينة التي أعرف فيها كيف أنام وأين أنا، دون مخدر، ولكن بدأ دخان يتدفق فجأة بالداخل!

إنه حلم، يقظة، أو كابوس أو الاثنان معا؟ لا أذكر من تفاصيله كثيراً

سوى أنه بدأ الصراخ: حريق حريق، ودخان كثيف أسود يخرج من نوافذ منزل الجيران، نساء تبعد أطفالهن عن الطريق، شبان يركضون بجرادل ماء ورجال الحي يحاولون كسر الباب ولكن ألسنة النار تلفح وجوههم وتبعدهم مسافة كافية للانفراد بوجبتها البشرية، تستمر الفوضى والاتصالات والصراخ، وتتوقف محاولات الإنقاذ فجأة!

بعد انهيار سقف المنزل تزامنًا مع وصول سيارة المطافئ متأخرة كعادتها ليبثوا خبر وفاة الجزار محترقًا في منزله مع أطفاله المساكين وزوجته الخياطة.

وفجأة! طرقات عنيفة قوية على باب منزلي تكاد أن تخلعه من مكانه

توقظني من الكابوس اللعين، أنظر يمينًا وشمالًا، اللعنة، لقد كنت أحلم.

نهضت مفزوعًا فتعثرت وسقطت على وجهي من شدة الفزع وركضت نحو الباب لأرى من هناك.

إنها ""فاطمة" الخرساء " ابنة جاري الجزار تطلق صرخات حادة، وتتصاعد من فستانها الرثّ أدخنة وكأن أحدهم أطفأ فيه علبة سجائر كاملة.

تغرس أظافرها الصغيرة في ذراعي وتشدها بعنف هيستيري مشيرة نحو منزلها المقابل طالبة النجدة، وقفت مصعوقًا أشاهد الكارثة دون أن أحرك ساكنًا من شدة الهول. النيران والأدخنة تتزاحم للخروج من باب ونوافذ منزلهم مع صرخات وبكاء أطفالهم المرعوبين، واستغاثات النجدة مصحوبة بطرقات عنيفة من الداخل، وضجيج الجيران الذين هبّوا حُفاة للمساعدة، وكلما حاولوا الاقتراب والاقتحام لفحت النار ذقونهم ووجوههم فتراجعوا للخلف خائفين مخذولين، كان المشهد مريعًا شنيعًا، ممتلئًا بالدم والنار والغبار والهزيمة والموت، بخذلان يحدق الجيران بعد أن استنفذوا المحاولات.

وفجأة، انهدم السقف مع آخر صرخة مكتومة، وسكت كل شيء!

بدأت روائح الشعر واللحم المحترق بالتسلل لأنوف الجميع وملامح الخيبات والحسرة ترتسم على وجوههم الملطخة بالسواد.
ولا صوت يعلو فوق صوت الموت، ولا نار أشد من التي في جوف "فاطمة" الخرساء التي سقطت مغشيًا عليها من لقاء الجحيم داخل منزلي المهترئ.

في المساء الباب يطرق مجددًا، ويجهض صمتي الذي بلغ من العمر 5 ساعات، أحاول بهدوء إعادة ترتيب أوراقي وتفكيك معضلة حادثة الحريق وعلاقتها برؤياي!
قبل أن ينتهي بي الأمر في مستشفى الأمراض النفسية، لا أفهم، هل هى مصادفة؟ يبدو بأنني جننت الحادث وآثار الأدوية
والأشهر المشبعة بالهلوسات.

ما الذي يحدث لك يا رجل؟ هل صرت ترى المستقبل؟

ليس عاديًا، هذا ليس عاديًا.

يطرق الباب مجددًا بقوة أكبر، أكره الزيارات، لا أحد يطرق بابك في هذا الحي إلا من أجل المتاعب.

فتحت الباب لأجده "منصور" أحد الجيران الكريهين وأسوأهم سمعة، يعمل كشاهد زور صباحًا ونصاب في أوقات الفراغ، قبض عليه في تهمة احتيال وله عدة قضايا تزوير وبيع مسروقات وجميع ما يخفض رأس الشيطان خجلًا.

لا أعرف متى خرج من السجن؟ لكنه سيعود هناك قريبًا.

"الحمدللّه على سلامتك" بدأ حديثه وفي يده طبق مغطى، وتقدم للداخل دون دعوة ويجر رجله اليسرى بصعوبة.

ثم قال بابتسامة باهتة:

مررت بالقرب وقلت في نفسي: إنه لمن المؤكد أنك لم تتناول شيئًا ولم تقبض راتبك منذ مدة، فمنذ عودتك لم أرك تغادر منزلك قط،

خاصة بعد حفلة الشواء التي أقيمت على شرف الجيران، ياللهول،

يقولون بأن الأمر مفتعل.

يرد "عماد" ببرود: ربما.

يقول "منصور": أنا شخصيًا أعتقد بأن الخياطة المجنونة هى من يقف وراء هذا، وأعتقد بأنها ردة فعل على اللكمات والصفعات التي يوفرها لها زوجها الجزار الثّمِل كل مساء.

يبدو أنها سئمت دور كيس الملاكمة و..

قاطعه "عماد": ماذا حدث لرجلك؟

- آه هههههه إصابة عمل كنت سأفاتحك بالموضوع.

- موضوع ماذا؟ وأي عمل؟

-ألم تشاهد الأخبار؟ بعض المراهقين يقومون بأعمال شغب وسط المدينة .

- لا، ولم أفهم علاقة هذا برجلك؟

يمسح "منصور" الغبار المتراكم عن المقعد ويجلس عليه ويضع رجلًا فوق رجل ويشعل لنفسه سيجارة ويناولني أخرى ويجيب:

-لقد خرجوا إلى الشوارع الرئيسية في توقيت واحد كعصابات، أغلقوا الشوارع، وأحرقوا الإطارات والمباني الحكومية مما أربك انتشار رجال الشرطة كثرة عددهم فاضطروا إلى طلب مساعدتنا للمساندة في التصدي لهؤلاء المخربين، ولم اتأخر لحظة في تلبية النداء، وهناك حينما كنا نكنس الشوارع من هؤلاء الأوغاد قام أحدهم برشق ساقي بحجارة أكبر من رأسه وفر هاربًا، ثم أضاف:

ولكن كما تعلم، ليس بالمجان.

جميع الرجال هناك يقولون بأن هنالك شققًا وسيارات ومكافآت ومزايا ووعود لنا بعد إتمام المهمة.

- لنا؟

- نعم، أخبرونا أن نجلب أكثر الناس ثقة وانضباطًا في تنفيذ هذه المهمة ولا أرى أنسب منك في الحقيقة، إنها صفقة العمر، أم أنك تود أن تتعفن في حظيرتك هذه؟

ثم يضيف قائلًا:

لن يصمدوا طويلًا، ستقطع الاتصالات ونحن بدورنا سنضيق الخناق عليهم كحلقات ونقطع خطوط تواصلهم والشوارع الرئيسية ونطاردهم في الأزقة والساحات ونقبض على المدبرين.

الكثير يودون العمل معنا وانتهاز الفرصة، خاصة وأن المعركة محسومة مسبقًا، لكننا حريصون في انتقاء رجالنا، ما رأيك هاه؟

- يا "منصور" بالأمس كنت تهرب منهم واليوم تودني أن أصدق بأنك معهم؟ في نظري أن ردة فعل المخربين كردة فعل زوجة الجزار، وأنا لن أشارك في هذا.

-ولكن..

- رأسي سينفجر، تصبح على خير.

يضع "منصور" الطبق جانبًا ويطفق العرض ساري حتى مساء الغد، وعلى الأقل ليست أسوأ من وظيفتك السابقة، أضف على هذا لن يتخلوا عنك، هذا رقم هاتفي الجديد، وكما أخبرتك، إنها صفقة العمر.

ويغلق الباب خلف ظهره مع انقطاع الكهرباء.

في اليوم التالي استيقظت قبل الشمس وطرقت باب "منصور"

نعم أنا رجل غير متزن القرارات، رغم أن مطالب المتظاهرين كانت مقنعة، فلست معها، لا أرغب بالموت في هذا الحي المريض بجدرانه المتآكلة وطرقه الغارقة تحت القذارة وقشور البيض وحفاظات الأطفال، أريد حصتي من هذه الحياة، أريد أن أتذوقها خارج هذه المحمية قبل أن ينتهي عمري الافتراضي وأصبح عجوزًا مترهلًا، مفلسًا، منزويًا في ناصية الحي، يتربص بحبال الغسيل المرتخية والمارة ويطلق الإشاعات، هكذا قلت في نفسي الآثمة.

تناولنا الافطار في مطعم شعبي، ذلك النوع الذي يشاركك فيه الذباب وجبتك ويودعك العامل بابتسامة صفراء تجعلك تشك بأنه قد بصق لك في شطيرتك، غادرنا الحي سويًا نحو الساحات وهناك استلمت عصا متينة تستخدم في عمليات الاستجواب وشرعت في مطاردة الصبيان الملاعين وجلْدهم.

الأوضاع كانت لصالحنا حتى منتصف النهار، حتى خالف بعضنا الأوامر باستخدام القوة المفرطة، آنذاك اختلتْ الموازين وبدأت الأمور تأخذ منحنى آخر، وعددهم أصبح يتزايد، والمواقع التي يسيطرون عليها، كذلك إضافة إلى نشرات الأخبار التي تضخم الأحداث وتحشو رؤوس الناس بالأكاذيب والإشاعات كانت سببًا في تفاقم الأمور خاصة بعد ربطهم الأحداث بمسائل الشرف وإضافة صبغة دينية عليها لتأجيج الرأي العام، هنا بدأت أستوعب أن الأمر قد خرج عن السيطرة.

في المساء لم نعد إلى منازلنا...

"ستقضون ليلتكم هنا "قال الآمر القصير بلكنة صارمة، ستقضون ليلتكم هنا في ساحة المركز، وغدًا أو بعد غد ستصل قوات مساندة كبيرة من ثم سنتحول إلى وضع الهجوم، إنهاء الأمر بأقصى سرعة صار واجبًا بعد ورود معلومات بتسلل جماعات إرهابية قيادية بينهم، لا أعرف منذ متى أصبح المفجرون دعاة ديمقراطية، ورغم هذا

مازلنا نمنحهم فرصة أخيرة للرجوع والعودة إلى منازلهم رغم ما اقترفوه.

اغتسلنا وتناولنا العشاء كمجموعات ثم اتجهت إلى الساحة الخارجية التي تستخدم في التدريب والطابور الصباحي، وهناك أسندت رأسي على الوسادة فوق فراشي الطريح بجانب الكثير من الرجال الحالمين والمستلقين، يتهامسون حول المكافآت والإشاعات والمخاوف.

أحدهم يقول بأنه سيزرع أسنان بثمن المكافأة والآخر سيجري لزوجته العاقر حقنًا مجهريًا والأخير يقول بأنه يفكر بالحصول على زوجة جديدة لينفجروا ضحكًا وسط الكثير من الأماني العمياء والحكايات المذبوحة والمآسي التي تكفي لسحق قلب جلاد.

بينما أحدق بالسماء المتسخة الممتلئة بدخان أعمال الشغب ورائحة إطارات السيارات المحروقة، أطبقت جفوني ببطء بلا أي أمنيات، وبدأ الدخان يتسرب داخل عالمي الخالي من الألم والشعور حيث أفقد جاذبيتي وأتلاشى كفقاعة صابون،

دخان أسود كثيف يحرق حلقي ويخنقني، تتضح الرؤية شيئًا فشيئًا الكثير من البنادق، الرصاص، أبواق سيارات وصراخ رجال وزغاريد، عربات مقلوبة، السماء تمطر رصاص وشتائم يطلقها رجال في حالة هيستيرية، الآمر الصارم غارق في دمائه وحشد من المجانين يركلون رأسه بأحذيتهم الغارقة في التراب والدماء.

المدينة أصبحت قطعة من الجحيم.

يد تشدني بقسوة وتهزني لتجرفني من هذه المجزرة، استيقظ، "عماد"

هيه، أنت ما بك؟

استيقظت غارقًا في العرق بعينين جاحظتين أحاول التقاط أنفاسي،

ابتلعت ريقي بصعوبة:

سنهزم، سيقتلوننا جميعًا.

مستغربًا "منصور"!

-هل كنت تحلم؟

بكلتا يدي هززت "منصور" بعنف:

-سنهزم يا "منصور"، سيسيطر هؤلاء المجانين على المدينة وسيسحلون جثثنا على الأرصفة، سيموت الجميع.

تتسع عينا "منصور" من كلامي، ولوهلة تفطنت بأن جميع الرجال بجانبي قد تركوا سجائرهم وأحلامهم جانبًا، وصمتوا يحدقون بي بخوف في الظلام، حتى إن أحدهم قد همس لرفيقه الغاضب بأنني مندس أعمل لصالح الخونة حسب قوله، ومهمتي هي إحباط عزيمتهم وبدأ في تحذير البقية من الحرب النفسية التي ينتهجها الخونة وآثارها السلبية عليهم.

شد "منصور" يدي وبصوت خافت دون أن يفتح فمه قال:

ما بك بحق الجحيم هل تريد أن تورطنا؟ توقف عن التفوه بالترهات واخرس، أغلق فمك.

يقاطع الآمر القصير حديثنا بسؤال بنبرة حانقة:

ما بال صديقك يا "منصور"؟ هل لديه مشكلة؟

- برجفة يرد "منصور": لا، لا، إنه فقط يهلوس في نومه ويتطلع للصباح لسحل الخونة.

- آه، جيد، أخبره بأن القوات المساندة قد انطلقت وسنحسم الأمر في ساعات وسيعود الجميع إلى منازلهم، أو قد يذهب البعض إلى السجن بتهمة الخيانة، تعرف ماذا يفعلونه بالخونة هناك هاه؟

-لا لا لا سيكون كل شيء تحت السيطرة سيدي، لا مكان للخونة هنا.

يغادر الآمر ويبدي "منصور" ندمه على جلْبي إلى هنا، ويسأل منذ متى عاد ضميرك المتقاعد للعمل وبدأت الهلوسات في زيارتك؟ ألم تكن ترسل الناس إلى الجحيم طيلة السنوات الماضية غير مأسوف عليهم؟ هل حن قلبك فجأة؟ ما بك بحق الجحيم، أنا المخطئ، ما كان عليّ اختيارك.

يرد "عماد":

-هناك، كنت أرسل المذنبين مكبلين ودون أن يتعرف أحدنا على الآخر، اليوم فقط تعرف علي اثنان من سكان الحي ولا أعلم ماذا سيحدث جراء ذلك، كل ما أعرفه أنه هنا ستنقلب المطاردات الصغيرة في الأزقة إلى حرب أهلية، ستسقط الطائرات، وتنشب النيران في محطات البنزين وينهار كل شيء، لا أفهمك، أتعلم شيئًا، اخرس، أغلق فمك ونم، ثم يضيف قائلًا:

ولا تطلب العودة للمنزل لأنك ستثبت شكوكهم حولك وتورطني معك أتفهم؟ نم عليك اللعنة.

ثرثر "منصور" لدقائق بينما كنت أقيس مسافة جدار الموقع بعيني، يمكنني القفز من هناك والمغادرة باكرًا.

يمكنني ذلك.

*****

نازح

اندلعت الحرب و التهمت سبع مدن ووصلت رائحتها للدول المجاورة، مات "منصور" والآمر القصير والكثير من الرجال، وكل ما رأيته تحقق بالحرف الواحد، توقفت عن محاولاتي في تفسير هذه الكوابيس التي تبدو كخيوط تقود إلى مستشفى المجانين أو مشنقة، حتى إنني لم أخبر عنها أحدًا، ولم أعد أراها منذ مدة، منذ أن قفزت فوق ذلك السور.

أنا الآن مهجر، نازح، هارب، مطلوب ومخذول، في دولة مجاورة، بلا عمل أو منحة، أقطن في الدور السادس في غرفة بلا نوافذ في بناية بمصعد معطل تنبعث من مدخلها رائحة نفاثة، بول وقيئ سكارى.

في الشقة المجاورة زوج يظن زوجته كيس ملاكمة وطفل يصرخ ولا أحد يتدخل ولا أحد يفكر بالطلاق، هنا أيضًا

الحماقة القديمة ذاتها تلاحقني، نفس حكايات حينا بالضبط باختلاف اللهجات، إنه فعلًا كما يقولون:

"العالم قرية صغيرة"

صباح اليوم، أخبار سيئة.

بدأت الحكومة هنا بترحيل المهجرين من باب تلطيف العلاقات مع السلطات الجديدة هناك.

أما أنا بعد أن تأخرت ثلاثة أشهر عن دفع الإيجار، قام صاحب الغرفة برهن جواز سفري كإجراء احترازي وقال مهدداً بأنه في الشهر الرابع سيجلب لي الشرطة.

إن أردتم رأيي بصراحة، أنا لا ألومه، فهو يعيل أسرة كبيرة ولا يملك سوى هذه الغرفة وسيارة أجرة "خردة" ينبطح أسفلها كل ظهيرة أكثر مما ينام بجنب زوجته.

على كل حال فرص العمل شبه منعدمة هنا ومعدلات البطالة في ازدياد، ولن تجد من سيرغب بتوظيفك.

لذا بعد موجة تفكير قررت اليوم أن أبدأ عملي كبائع فوشار في حديقة العاصمة، حيث يحتشد الزوار والسياح حول البحيرة الاصطناعية لإطعام الأوز والتنزه بالقوارب الصغيرة ومشاهدة الحيوانات وزيارة الملاهي، قبل أن يختتموا أمسيتهم في حلبة سباق الأحصنة.
مهنة لا تدر أرباح تذكر لكن قد تمنحني شهرًا إضافيًا تحت سقف تلك الغرفة بعيدًا عن الأزقة الباردة والجسور التي صارت غرف نوم للمهجرين المفلسين.

نصف شهر من العمل لم يبع "عماد" شيئًا يذكر، صاح ونادى، خفض السعر حتى صار أقل من رأس المال، ولم يقترب أحد، حتى جلس محطمًا على الرصيف يحصي الأيام المتبقية ويفكر بالطرق التي لم يجربها، بينما يخرج أفواج السياح من بوابة مضمار سباق الأحصنة يتبادلون الآراء حول سباق اليوم والأحصنة المحظوظة، لفت انتباهه طفلة صغيرة بشعر أشقر قصير وخدود بيضاء ممتلئة، كانت تبكي بصوت عال، تبدو ضائعة، ليست مشردة أو متسولة

بالطبع هذا ما تقول ملابسها الأنيقة جداً وحذاؤها النظيف الذي يبدو بأنه لبس للتو لأول مرة، تقدم "عماد" صوب الصغيرة وقام بالطبطبة عليها وقدم لها الفوشار لكنها أبت أن تكف عن الصراخ: ماما ماما.

بعد معاناة والانتظار طويلًا أن يتعرف عليها أحد من الأفواج المغادرة وهذا مالم يتحقق، قرر "عماد" تسليمها لأقرب نقطة أمن،

حملها نحو النقطة تاركًا خلفه عربة الفوشار تحرسها الملائكة.

في الطريق بدأت الأسئلة السوداء تدب في رأسه:

ماذا لو طلبوا هويتي؟ لا أملك حتى رخصة بائع متجول.

ماذا لو صادروا عربتي؟ وانتهى بي الأمر بغسيل مراحيض مقر الهجرة غير الشرعية.

بينما تحرث الأفكار المرعبة جمجمته، لفت انتباهه أقراط ذهبية بفصوص تزين أذني الطفلة وبعض الحلي الصغيرة، وهنا لمعت في رأسه فكرة أقحمته في صراع داخلي قصير حتى تدخل الشيطان ليحسم الأمر.

وفوراً قام بنزع الأقراط والحلي بسرعة بأيدي مرتجفة، وكانت الطفلة قد توقفت عن البكاء للتو وتحدق بعينيه مستغربة محاولة فهم ما يفعل، اقترب كفاية من النقطة الأمنية وتركها بالقرب وغادر مسرعًا دون أن يرف له جفن، وظلت بدورها واقفة في ظهره تحدق به حتى تلاشى عن الأنظار خلف الحشود.

بينما يسير خلف قدميه اللتين تقودانه نحو أقرب محل مجوهرات.

أريد أن أسعر هذه، قال "عماد" بنبرة ثقة مصطنعة وهو يحكّ أنفه محاولًا ردم علامات التوتر وحتى لا يثير الريبة.

صاحب المحل عجوز أحمر الوجه ناعس العينين بظهر محدب وجسد يشبه قارورة بولينغ مقلوبة يمتلك طاقم أسنان أكبر من فكه، يعاين الحلي بعدسة ويجري عدة اختبارات تنتهي بعضها بأسنانه،

ثم ينطق، إنها لا تساوي كثيراً.

سقط قلب "عماد" وأحس ببرودة في أطرافه ومعدته.

ثم أضاف العجوز:

فيما عدا الأقراط، سأعطيك 250 مقابل الواحدة، وهذا عرض أخير غير قابل للزيادة.

كان العرض بمثابة إنعاش سريع أرجع الدماء في وجه "عماد".

ادعى غرقه في نوبة حيرة حيال السعر، ثم سعل وحكّ ذقنه ليعلن بعد ذلك موافقته بعد موجة تفكير مصطنعة.

يقول العجوز: من المؤكد أن الرهان على الأحصنة سيفقدكم عقولكم أيها السياح، إنه يجعلكم تبيعون مقتنيات أطفالكم وهداياكم للرهان على جياد خاسرة، إنك رابع شخص يأتي هذا اليوم يعرض علي هذا، قبل دقائق قدم رجل ليبيع خاتم زوجته وساعته، قال العجوز حين استدار العجوز لفتح الخزنة.

يرد "عماد" في نفسه:

عن أي رهان يتحدث هذا الخرف؟ سأحاول مجاراته.

-آه نعم، إن الرهان يفقدني صوابي، برأيك يا عم، أي حصان سيفوز غداً؟

-من غيره؟ الذي فاز اليوم والأمس وطيلة الأشهر الماضية الحصان "جيمي"، ويرفع صوت التلفاز شاهداً الإعادة.

انظر كيف ينطلق كرصاصة ملتهبة.

يشاهد "عماد" سباق الأحصنة لأول مرة، يراقب تطاير الأتربة حول حوافرها وأجسادها المتعرقة، يشير العجوز بإصبعه هذا "جيمي"، حصان أبيض سريع جداً يخترق المضمار من الخلف ويدهس قلوب المراهنين ضده.

"ويفوز كالعادة"

قال العجوز بينما يستلم "عماد" النقود ودون أن يعدها فر هارباً عن الأنظار، تلك الليلة، ظل يحتضن النقود ويحدق بالجدار كأنه شاشة عرض، ويفكر بالحصان "جيمي"، الرهان على "جيمي" يحتاج 5 أضعاف هذا المبلغ، لا توجد فرصة بلا شك، لا توجد فرصة، يكفي متاعب، قم بدفع المبلغ لصاحب الغرفة وابحث عن عمل آخر، قم بدفع

المبلغ ولا تجازف، أخرج هذه الصفقة الخاسرة من رأسك، لا تورط نفسك.

نام وصوت داخل رأسه يقول: حصان أبيض سريع جداً يخترق المضار،

حصان أبيض،

حصان أبيض.

******

"فاطمة"

تحرق بلدي الحرب وينهش السرطان كبدي، لا أعلم أي منهما سينتهي أولا، لكني سأرحل في الحالتين، سواء بخطأ طبي أو رصاصة طائشة".

وضعت "فاطمة" المذكرة جانبًا بعد تدوين عبارتها، وشرعت في تنظيف البيت في محاولة لإلهاء نفسها عن الخراب الذي حلّ بوطنها والموت الذي سيطرق الباب في أي لحظة، اسمي "فاطمة" 22 خريفًا، خرساء كما يقولون، فقدت أسرتي في حادثة حريق ووطني في حادث تاريخي، طحنتني الحياة باكرًا وأغلقت أبوابها على أصابع أحلامي بعد أن قضمت لساني، تحطمت كل الفرص في عيني لأني فتاة.

أن تولد أنثى في حيّنا، يعني أن يوجد في منزلك ثقب يتسرب منه العار في أي لحظة، لذا قضيت حياتي في سد ذلك الثقب، وغسل الصحون ومراوغة الشائعات، تفوقت في

دراستي لطب لسنتين رغم محاولات والدي لإيقافي عدة مرات بفضل شائعات سكان الحي عن فسق الفتيات اللاتي يدرسن الطب، بعد أن اندلعت الثورة في مدينتي

تهاوى على أثرها كل شيء، مستقبلي، صحتي، أجهضت مستقبلي وحكمت على كل طموحاتي بالإعدام، وها أنا هنا بعيداً، أعمل خادمة

أحتمل التوبيخ والصفع أحيانًا حتى بعد أن تم تشخيص مرضي مؤخرًا، أحتمل كل هذ لأجمع ثمن علاجي الذي يبدو بأنه يحتاج إلى مدة أطول من عمري، على كل حال أنا أؤدي مهمتي فحسب، ولم أستسلم حتى الآن، صاحب المنزل ينهكني في العمل، ينظم السهرات الماجنة كل ليلة، ضحكات داعرة، نكات بذيئة، والكثير من الصفقات غير القانونية تحصل هنا متورطون بها رجال أعمال، صحفيون، ومدراء مصارف، شبكة متشعبة تكشف لي صاحب المنزل يدير أعماله بحفنة عصابات منظمة، وكل اجتماعاته وأعماله ما هي إلا تبييض أموال كما يسمونه تقريبًا، على كل حال هذا ليس من شأني.

سأجمع أعقاب السجائر وعلب البيرة الفارغة من سطح السجاد وأشرع في مسح زجاج النوافذ وتحضير الغداء لذلك البغيض البخيل.

مضى وقت طويل ولم أقبض راتبي، وأمثاله لا مشكلة لديهم في تأخر جرعات علاجي، لأنه كما يقول: "إنه ليس مدير جمعية خيرية" ويختتم جملته المعتادة بضحكة، هكذا فعل مع أحد الخدم الذي طالب بجزء من راتبه في بداية الشهر نظرًا لما يمر به من ظروف قاسية، ثم ماذا؟ ثم طرده شر طردة، نعم، أحيانًا من الجيد أن يفقد الإنسان لسانه ليستمر في تفريخ المزيد من الأيام التي ينام فيها تحت سقف وببطن ممتلئة، في بلد لا عمل فيه للإناث سوى الملاهي الليلية.

*****

مذكرات "عماد"

السادسة صباحًا، يتبخر بصاق السكارى من على وجوه الأرصفة وتحاول جثتك أن تلد ظلًا.

خرجت مبكرًا وطرقت باب صاحب الغرفة كثيرًا ولم يفتح إلا بعد وقت طويل.

-مازال أسبوعان على موعدنا، هاه هل جلبت المال؟

-لا، يجيب "عماد".

- ماذا إذن؟ يسأل صاحب الغرفة.

- أريد منك خدمة.

- ما هي؟

- أريد جواز سفري وأعلم بأنك سترفض لكني أقسم لك بأني سأدفع لك ضعف الدين.

ترتسم على شفتي صاحب الغرفة ابتسامة خبيثة:

محاولة جيدة، انصرف من هنا وابحث عن وسيلة لتتدبر نقودي وإلا جلبت لك الشرطة الآن وأرسلتك إلى السجن.

يتراجع خطوة ويدخل رأسه ليغلق الباب.

يضع "عماد" رجله على حافة الباب ليمنعه من إنهاء الحديث.

-انتظر المال معي، لكن هناك طريقة ستجعلنا نخرج من هذا المأزق راضيين كل الرضا.

-ماذا تريد يا "عماد"؟

-سيجارة وأجرة وقبل كل شيء 5 دقائق من الإنصات.

لم تمر نصف ساعة وأصبح "عماد" وصاحب الغرفة أمام مكتب الرهانات على سباق الخيول، "عماد" يحدق بالمكتب عبر نافذة السيارة.

صاحب الغرفة بنبرة تظهر التبرئة أكثر من تهديد:

-ها قد وصلنا وللمرة الأخيرة، لست مسؤولًا عن نتائج هذا، المكسب بالنصف والخسارة تحتملها لوحدك هكذا تسير الأمور هنا، إضافة على ذلك، موعدنا بعد أسبوعين سأعجله بعد 3 أيام هذا لأنه اتضح لي بأنك تملك المال وتنفقه على هذه الرهانات الخاسرة بدلًا من تسديد ديونك، ثم يضيف:

أتعلم شيئًا، حتى وإن حالفك الحظ وكسبت مرة، ستعود مئات المرات لتخسر، إنها لعنة المقامرة اللعينة.

- ثق بي، وأعطني جواز السفر فحسب لأضع اسمي في تلك القائمة اللعينة وسأرجعه لك فور إتمامي الأمر، هيا فالوقت يمضي بحق السماء، يستلم "عماد" الجواز وينتقل إلى داخل المكتب ويخرج بعد عشر دقائق بملامح مشوشة، والتزم الصمت طيلة الطريق حتى عاد به صاحب الغرفة إلى مسكنه.

*****

مذكرات "فاطمة"

اليوم الثاني على تأخر موعد الجرعة، صاحب المنزل تحول إلى ثور هائج يركل الطاولات والكراسي ويحطم الفخاريات والنوافذ ويطلق الشتائم على كل متصل، جُن جنون الرجل ولا أحد يفهم لماذا؟

كل الخدم يتحاشون المرور بجانبه، طرد اثنين دون سبب وليست لديه مشكلة في إزاحة الجميع، "عماد" من؟ أريد اسمًا كاملًا

أريد عنوانًا واسمًا، اجلبوا ذلك السافل حيًا أو ميتًا.

*****

في الحي القديم بالطابق الأخير يستيقظ "عماد" على اتصال من رقم مجهول.

بصوت ناعس جداً وعين مغمضة وأخرى نصف مفتوحة:

- "عماد سعيد" نعم، من المتصل؟ "فوزي"، "فوزي" من؟

- صاحب الغرفة يا وغد، لقد حذرتك أليس كذلك لكنك أبيت.

أخبرني أنك لم تراهن على "جيمي"، أرح قلبي، هل راهنت عليه؟ هل فعلتها؟

بدأ "عماد" يستفيق، يجلس يحكّ عينه وينظر إلى ساعته.

لماذا؟ ماذا حدث؟ مصيبة أيها البائس التعيس، لقد تعثر "جيمي" وكسرت ساقه مما تسبب في تعثر عدة أحصنة فوقه مخلفًا الكثير من الخسائر، أنت في مأزق حقيقي يا ابني، ضاعت نقودك، وستسجن ولن تخرج من هنا قريبًا، يغلق "عماد" الخط قبل أن ينهي "فوزي" كلامه وترتسم على وجهه ملامح مفزعة، يصرخ بهيستيريا وينزل للشارع راكضًا بلا تركيز حتى تعثر ببرميل قمامة، لينهض مجددًا ويكمل ركضه بلا هدف نحو نهاية الحي، ولا شيء يلاحقه سوى أبواق السيارات التي كادت تدهسه من خلفه.

-" كنت أعلم بأنه مدمن وحقير والآن صار مجنونًا"، يقول صاحب المقهى المقابل للبناية لأحد الزبائن.

*****

وسط جناح فخم في فندق 5 نجوم يرمي بنفسه على سرير ناعم ونظيف يطل على حوض سباحة وسلة فواكه وسخان قهوة بجانب حوض أسماك، بينما ينتعش ببرودة التكييف الذي يداعب بعضًا من شعره ويجفف التعب عن وجهه، يقول في نفسه:

"يااااه، وأخيرًا ابتسمت لي الحياة.

عبر التلفاز "16 قتيلًا 23 جريحًا جراء معارك طاحنة" فيمسك بالريموت ويغير المحطة.

مذيعة حسناء تتكلم عن بدء محاكمة شخصيات معاونة سابقًا وأخرى صدرت بحقها أحكام غيابية
يعقد حاجبيه ويغير هذه المحطة أيضًا
ليستقر على برنامج وثائقي هادئ عن الأحصنة.

يأخذ نفسا عميقًا، ويقول في نفسه:

لم أنهك نفسي في البحث عن تفسيرات لتلك الرؤى التي تداهمني إلا أنني أعرف جيداً بأنه حين يكتشف الرجل وسيلة كهذه، فإنه لا يدير لها ظهره أبداً، استمررت في الرهانات طيلة الأشهر الماضية ووسعت نشاطي في أسواق البورصة والأسهم والعملات، اشتريت الأسهم التي سترتفع بعد أسابيع وبعتها بأضعاف ثمنها، علمت نتائج المباريات مسبقًا ولم أعد أشاهدها، أصبح لدي بعض المعارف الذين لا أثق بهم كثيراً، وصار اسمي يتردد في الأفواه البرجوازية العفنة في الآونة الأخيرة، وحتى لا أثير الشكوك قررت أن أتوقف هذه الفترة، رهاني على الحصان الذي شاهدته في الرؤيا يركض في المضمار رقم (9) وفر عليّ الكثير من المتاعب، من كان ليصدق بأن "جيمي" سيخسر من؟

من سيصدق بأني رأيت كل ذلك تلك الليلة؟

خاصة أن أحداً لم يراهن على حصاني الأسود ذلك اليوم المشهود، وأنني لم أراهن فقط، بل اشتريت الحصان بسعر زهيد جداً لأكسب كل هذا، لكن "فوزي"، "فوزي" ازداد جشعه بعد أن علم بكسبي للرهان وأصبح لا يرضى

بنصيبه فقط، الطمع أعماه وصار يريد كل شيء مناصفة، أخبرته أن يذهب إلى الجحيم، لكنه يلوي ذراعي بتلميحات لا تريحني بإبلاغ السفارة عني كشخص مطلوب في بلده في حال اتخذت أي خطوة تجاهه، إذ إنه في كل مرة يرافقني وينتظر حتى أنجز الإجراءات ويضمن نصيبه من الكعكة، وحصته في الصفقات الجديدة، وهذا خرق للاتفاق المبرم، سأجد وسيلة لتسوية الأمر مع ذلك الخنزير الجشع ووضع حد لهذه الابتزازات.

يرن هاتف الفندق، يرفع "عماد" السماعة:

- طاب يومك سيد "عماد"، هنا خدمة الغرف، سيصلك إفطارك بعد دقيقتين بالضبط.

– حسنًا.

يغلق السماعة، لم يمض الوقت حتى طرق الباب 3 طرقات خفيفة ودخلت سيدة حسناء تلف شعرها في تسريحة "الكعكة"، ترتدي بزة الفندق السوداء مع كعب أسود، تضع

طلاء أظافر قاتمًا، وتملك شامة فوق خدها الوردي، تدفع فوق العجلات بطاولة الإفطار.

- صباح الخير، أتمنى لك يومًا طيبًا، قالت بصوت أرق من جناح الفراشة.

ثم تستدير وتخرج من جيبها طردًا بريديًا، ذلك النوع الذي يشبه كروت دعوة للأعراس، هذا لك، تستدير ثم تخرج بخطوات مدروسة كأنها تحفظ عدد الخطوات التي تلزمها للخروج من أي غرفة وتغلق الباب بهدوء، التقطت الطرد لأفهم.

إنه كارت دعوة! لكنني لم أكوّن علاقات اجتماعية هنا، حرصت على الابتعاد عن الأضواء تفاديًا للمتاعب، لم أستلم في حياتي غير المراسلات الحكومية، وموافقات تنفيذ الأحكام في تلك الغرفة، بعد قراءتي للمحتوى، لم أعرف المنظم لذلك المحفل لهذا أشك في قبول الدعوة التي تحملني ضرورة ذلك، وكأنها أقيمت على شرفي!

أثناء تفحصي للعنوان وظهر الطرد المغلف له.

يرن هاتف الفندق

أرفع السماعة، مرحبًا سيد "عماد سعيد"، لا تتصور حجم سعادتنا بقبول الدعوة، صوت مزعج غير مألوف يشبه صافرة قطار.

-من؟

-سنأتي لاصطحابك مساء اليوم على تمام الثامنة، خذ وقتك لتتأنق، في انتظارك الكثير من المتعة الليلة، يغلق الخط.

*****

في بلدي على كل مائدة هنالك كوب زائد أو ملعقة، إلا في بيت أم الجندي، طبق ناقص، ومقعد فارغ، وسرير مهجور وقلب متورم بأخبار المفقودين، هنا في بيت سيدي أوزع الكؤوس على الطاولات بالتساوي، لأن الأوغاد لا يموتون، ولا تجهض أحلامهم الحروب، منذ مدة طويلة ولم تقم حفلات هنا، فقد دخل صاحب المنزل البغيض في حالة اكتئاب حاد بعد خسارته لجواده في حادثة

ربما هى لعنات المظلومين الذين طردهم، على كل حال نجحت في توفير ثمن جرعة جديدة، والأمور أصبحت أفضل عن قبل.

يقول الطبيب:

"بأن جسدي يستجيب للعلاج بشكل إيجابي وبسرعة أفضل مما يتوقع

كما أخبرتكم، من نجت من الحريق والحرب لا يهزمها مرض أنا لا أستسلم، ولن أرحل عن وجه الحياة بخطأ طبي كما قلت.

"أريد حصتي من الحياة بأي شكل"

على تمام الثامنة والنصف اكتظ المنزل بالأوغاد القدامى، سادة السوق السوداء، تجار أسلحة، مهربي مخدرات والأعضاء البشرية، مدراء مصارف ونواد ليلية، وراقصات من المستوى الرفيع تلك اللواتي تجعلن من القضاة أطفالًا في أحضانهن، وتصنعن من مشانق الإعدام حبال غسيل لجواربهن، لكن!

ضيف غير متوقع يظهر من بين الحضور أثناء تحضيري الدفعة الثانية من المشروب مما تسبب في انزلاق السفرة من يدي وتحطم بعض الكؤوس من شدة صدمة اللقاء غير المتوقع، منذ متى يعود الموتى؟!

"عماد سعيد"، الرجل الطويل القاسي صاحب الوجه الشاحب، ذلك البائس التعيس الذي تتضارب حوله القصص، ثمة من يجزم بأنه لقيط وثمة من يقول بأن والدته توفيت أثناء ولادته، والكل متفق بأنه لم ينطق كلمة "أمي" في حياته.

"عماد" أحد الشهود على حادثة إغلاق كتيب عائلتنا، من المفترض أنه ميت!! ماذا يفعل هنا؟ كان يعمل في تنفيذ أحكام الإعدام بسجن المدينة، أصيب إصابة بالغة في حادث سير وبعد ذلك انضم إلى قوات مساندة في الأحداث التي شهدتها البلاد وقضى نحبه هناك،

بلا زوجة أو أطفال، كيف عاد وما الذي أتى به إلى هنا؟

آخر ما سمعت بأنه لاقى حتفه في الثورة حسب ما يقولون، ولم يتعرف على جثمانه أحد من شدة الحروق التي شوهت جثته، قيل بأنه دفن بدون جنازة برفقة الكثير من الجثث، تلك التي قضت وقتًا طويلًا في ثلاجة الموتى حتى صارت رائحتها كالبيض الفاسد.

ولد في حينا في أقذر الأحياء سمعة، تلك التي يحرسها مُروجي المخدرات، ولا تزورها الملائكة ولا سيارات الشرطة ولا شاحنات القمامة، ولولا النار لشطبت شوارعها من خارطة المدينة، ورسموا مكانها سلة قمامة، وصارت دعاية شريرة للأكياس البلاستيكية السوداء.

"عماد سعيد"

مات مرة وعاش مرتين واليوم هنا

على بعد 1000 ك/م وسياج حدودي

نلتقي مجدداً

ليشاهدني أُولد للمرة الثانية

يا لسخرية القدر.

*****

مذكرات عماد

عش الدبابير

هذا ما يمكن أن يصف به أي رجل مثل هذه الحفلات الماجنة والتي تقام لأجل عقد صفقات مشبوهة، ويتعرف فيها القتلة على الضحايا، ويشعل المقامرون السجائر للراقصات الرفيعات بورقة فئة 100 دولار كعربون صداقة، من المؤكد أن أحدهم خسر الكثير من المال من أجل لم شمل كل هذه القطط السمان، لا يوجد ضيف عادي، هنا لم يصادفني سوى من رأيت صور فضائحهم في صحف الصباح رجال الأعمال الليلية، تجار مخدرات، لصوص بربطات عنق ومعارفهم الذين يضعون القضاة والمحاكم في جيوبهم وتخرس أثناء مرورهم أجهزة التفتيش.

بإمكانك التعرف على كل شخص بالخلف بينما تدير ظهرك وتفتح أذنيك للنميمة.

كنت أظن بأن هذه الكرنفالات لا تحدث سوى في الأفلام (4) أعتقد بأن الناس صاروا يستوحون حياتهم من هناك وليس العكس، صار العالم مقلوبًا رأسًا على عقب.

على كل حال، إنها ليلة جافة لولا كؤوس الشراب الجيد هذا. الكلمات تعفنت داخل فمي، لم أتكلم منذ مجيئي، الضيوف انتهوا من التقاط فرائسهم وشرعوا في البحث عن أعشاش مظلمة

لقضاء الليلة، إلا أنا، ينتابني حدس كريه وغصة مرة بأني أسير كفأر أعمى داخل متاهة متشعبة تنتهي بفخ.

مضى الكثير من الوقت، ولم يستقبلني أحد، ولم أحاول فتح حديث مع أحد، وكأسي لم يفرغ منذ جلوسي على البار مديرًا ظهري للصخب الممل.

يد قاسية من الخلف تهبط على كتفي كغراب، ووجه لا يبشر بخير يظهر من بين الأدخنة.

"حفلة رائعة أليس كذلك؟"

رجل عجوز، أصلع الرأس، كثيف الحاجبين، حليق الذقن بملامح باردة توحي بأنه لاعب بوكر قديم، يمتلك ابتسامة بشعة وعينا قاتل.

أعرف هذه الأعين جيداً، لكني لا أذكر بالضبط أين رأيتها.

رد "عماد":

-نعم، كانت لتكون أفضل لولا حضور الجمهور.

-إنه المال، أن تملك المال يعني أن تملك مساحات شاسعة من المتعة وقوائم لا تنتهي من المعارف والسلطة والنفوذ، أن تمتلك المال يعني أنه بإمكانك رسم خريطة الجنة بدلا من انتظار القيامة.

-ربما، ربما.

قال "عماد" بنبرة تنوي إنهاء الحديث.

ثم يسحب أحد الرجال الذي ظهروا فجأة بالخلف كرسيًا للعجوز الخبيث ليجلس بالقرب من "عماد" ويقول:

-لكن، هل تتصور أن يأتي مخرب بعود ثقاب صغير ويحرق جنتك هذه الذي كدحت طيلة حياتك في تشييدها، هذا محزن أليس كذلك؟

-نعم، وقليل أدب أيضًا، لو كنت مكانه لاتصلت بالمطافئ.

-هههههههه تمتلك حسًا فكاهيًا أيضًا.

-الكثير من المفاجآت، الكثير.

-نعم، كتلك التي جعلتك تراهن ضد الجواد "جيمي"؟

-توسعت عينا "عماد" وابتلع ريقه بصعوبة، وبنبرة تحاول إخفاء الارتباك:

-لا أفهم عما تتحدث.

-"عماد"، "عماد سعيد" الرجل الذي راهن على الحصان الأسود وكسب!

إنه يعرفني! يقول "عماد" في نفسه، ويرتشف ما تبقى من شرابه ليسيطر على الموقف.

-ضربة حظ، تعرف حظوظ البسطاء ،هههههه.

-نعم صحيح، بالمناسبة كيف تجري الأمور في سوق الأسهم؟ يسأل بابتسامة خبيثة، صوت داخل "عماد":

"من أين ظهر لي هذا الشيطان اللعين، إنه يعرف كل شيء!

"فوزي" وشِيَ بي بلا شك، قد فعلها ذلك الملعون"

-نعم، كما أخبرتك، ضربة حظ والقليل من نظرات لاعبي الشطرنج تتلاشى ابتسامة العجوز.

يشعل سيجارتين له ولـ"عماد"

أتعرف أنني ورثت هذه القداحة من أبي؟

ثم ينفث دخانه الكريه من بين أسنانه الصفراء المترسبة ويستأنف كلامه:

-والدي بدوره قد ورثها من جدي، أيضًا هذه الساعة كذلك، انظر،

و"جيمي" كان آخر سلالة من حصان توارثته عائلتي أيضًا وحرصت كثيرًا للحفاظ على هذا الإرث العائلي.

لقد جنى لنا ثروة ليست بالهينة.

يقاطعه "عماد":

-نعم، مؤسف سماع ذلك.

يقول "عماد" وهو يفكر بإعداد خطة لإنهاء الحديث والخروج بأقل أضرار من أقرب باب.

العجوز:

-يبدو أنك لا تفهم خطورة الموقف حتى الآن، إليك ما سيحدث يا ابني، ستوضح لي كل شيء قبل أن تنتهي سيجارتك هذه، ووحده اللّه يعلم ما سيحل بك إن حاولت العبث، لن تخرج من هنا حيًا حتى أستعيد منك كل شيء، وأفهم كل شيء، كل شيء من "جيمي"، حتى آخر قرش سقط في جيبك.

يعقد "عماد" حاجبيه ويقف بعنف، ويتقدم نحوه فجأة عدة رجال أشداء البنية، أحدهم يضع فوهة مسدسه على مستوى الحوض ويخبره العجوز أن يعود إلى مقعده بهدوء قاتل.

*****

مذكرات "فاطمة"

رحل الجميع تاركين خلفهم الكثير من النفايات وأعقاب السجائر والشتائم العالقة في حنجرتي، استبدلت مهمة توزيع الكؤوس مع خادمة أخرى مقابل تنظيف الفوضى واستلام مهامها في غسل الصحون والملابس لأتحاشى المرور بجانب "عماد" ويتعرف عليّ، وتصبح سيرتي علكة تسلية في أفواه سكان الحي هناك.

حسنًا، إنها آخر قطعة ملابس على حبل الغسيل، سأعود الآن إلى غرفة الخدم لأستريح، في انتظاري يوم شاق آخر.

وفجأة، أصوات صرخات مكتومة منبعثة من أسفل المنزل الكبير،

مهرولة صعدت الدرج واتجهت نحو سلالم القبو وكان باب القبو موصدًا!!

خرجت مسرعة وعُدت إلى الباحة المظلمة حافية حيث حبال الغسيل والأشجار وبعض التماثيل الرخامية، وسط نباح

كلاب الحراسة البعيدة وأصوات الحشرات الليلية جثوت على ركبتي أرضًا بمستوى النافذة المنخفضة لأرى ماذا يجري هناك بالأسفل؟

إضاءة خافتة قليلًا، الكثير من القرميد الأحمر وحراس المنزل وبعض الرجال يتناوبون على لكْم ورفْس رجل بملابس داخلية، مكبل على مقعد، لا تظهر ملامحه بسبب الدم الذي يغرق وجهه وبعض الأجزاء المتفرقة من جسده، بينما صاحب المنزل يجلس على مقعد مسافة 10 أمتار ويشاهد الأداء، ثم يطلب منهم التوقف.

-يسأل: هل ما زلت لا تعلم يا "عماد" الكلب؟

يختلج قلب "فاطمة" وتصدر منها شهقة مرتعبة فتجهضها فوراً بوضع يدها على فمها لتغلقه.

وفي نفسها تقول:

-"عماد"!!

ما الذي فعلته، ما الذي ورطت نفسك به؟ ماذا حدث؟

تعود لتسترق النظر ولا ينطق "عماد" ببنت شفة، يبدو بأنه قد فقد الوعي.

يعطي العجوز إشارة لأحد رجاله ليسكب دلو ماء بارد على رأس "عماد" ويقول:

لا أريده أن يفوته شيء من المتعة.

يعود "عماد" إلى وعيه تدريجيًا، ويشرع أحد الرجال في نزع أظافره بواسطة كماشة، يطلق "عماد" صرخة تشق الأذان الصماء.

وتجلّط الدم في قلب "فاطمة".

*****

مذكرات "عماد"

اليوم الرابع في القبو

صوت طنين حاد، غثيان، كأن أحدهم أقحم مثقابًا كهربائيًا داخل أذني وقام بتشغيله، مع جلسة مساج 7 نجوم باستخدام مضارب الغولف، هذا كاف لوصف أعراض الصداع الحاد والألم المبرح اللذين يصدحان بالداخل.

رأسي سينفجر في أي لحظة، يدور كغسالة مجنونة خرجت عن السيطرة غسالة مكدسة بالوجوه والكدمات والبصاق والشتائم، صداع فاجر، اللكمة التاسعة بعد المائة.

لثتي ملتهبة، ريقي جاف، آخر ما بصقته كان خليط قيح ودم، عيناي منتفختان مع الكثير من السواد والألوان البنفسجية كحبات طماطم فاسدة.

كل ما أشاهده أحمر، كل شيء أحمر.

فقدت 3 أسنان وأخرى ستسقط لاحقًا، وبعض الأظافر، كسروا أنفي وبعض الأصابع، وعصروا الليمون والخل على جراحي وطرقوا مفاصلي بالمطارق.

لم يعد في معدتي ما أتقيأ، أفرغت كل شيء بعد أن دقوا مسماراً في أصبع رجلي بالأمس، فقدت الوعي عدة مرات، واستيقظت بركْلات ترجيحية بين فخذي، هذا كفيل بجعل الرجل يعترف بالوسوسة لآدم وقتل هابيل وكل المصائب التي لم يقترفها لكن.

لكن ليس لدي ما أقول، من سيصدق بأنها رؤية؟ لا أحد، لا أحد، كل ما أحتاجه الآن بعض الإسبرين والمورفين، الكثير من المسكنات التي تركل الإحساس بالمحيط من رأسي وشراييني، حقنة معدنية توقف موسيقى الألم، ويد الممرضة البعيدة.

أحتاج الكثير من المعجزات لأخرج من هنا، معجزات بعدد الأفواه القادرة عن نفخ منطاد وجعله يصعد نحو السماء كدعوة أم، أنا الذي ولدت بلا أم،

وسأدفن بلا جنازة ،

هذا ما يبدو حتى الآن.

*****

بعد ساعة...

يفتح الباب القبو، ويهبط من السلالم طيف، لا يمكنني تحديد شكله

بدلًا من استئناف حصص الضرب الخصوصي يمسح رأسي بمنشفة باردة، ويحاول ترميم جثتي، بيد أقل خشونة وأكثر رقة من تلك القبضات التي كانت تنهال على وجهي طيلة الأيام الماضية، إنها يد أنثى بلا شك، ربما أنا أهذي، ماء يتدفق في جوفي، أو عصير، الالتهابات والجفاف يمنعاني من استطعام أي شيء، عاجز عن فتح عيني، مخزون الجلوكوز منخفض في جهازي العصبي، قد أكون أحلم، قد تكون رؤية جديدة، أو كل ما يحدث، فاصل إعلاني اختلقه دماغي، المهم أن دماغي الآن كسلحفاة مقلوبة، والألم توقف لاستراحة بين الشوطين.

*****

بعد ساعات أخرى...

انهض يا كلب

يقول العجوز صاحب الجواد الخاسر والحفلة اللعينة.

بنصف عين مغمضة أطالعه ويحاول دماغي أن يرتب ألوان الصورة والمشهد.

-جيد، ها قد نهضت، يقول العجوز البغيض ثم يضيف:

-أتعلم ماذا يفعل الصياد حينما يقع في فخه صيد صغير؟ يجعله ينزف حتى تجذب رائحة دمه فريسة أكبر، ثم ماذا؟ ثم يسقط صيدان بفخ واحد!

"عماد" في نفسه:

"وجدت يدَيّ قد كبلوهما الآن أمامًا بدلًا من خلف مسند المقعد وقبضة مفلطحة خشنة تشد ذقني للخلف تكاد تكسر عنقي منعًا للهرب، ولا أعلم السبب"

تفحصيه، يأمر ذلك البغيض، عجوزًا متجعدة بذقن موشوم تلف جثتها بملابس غجرية، وحول عنقها تمائم وتعويذات وقلائد لأسنان حيوانات وأشياء كريهة متجعدة وباهتة.

تبدو كمشعوذة من العصور الوسطى.

تضع حقيبتها المصنوعة من القش أرضًا وتتقدم لتحشر أظافرها الطويلة القذرة في بطانة جفوني، وتحدق في عيني عن قرب شديد، ثم تفتح يدي وتبدأ في تتبع خطوط كفي كأنها تبحث عن شيء، ثم تنتف بعض الهدوب، ثم تخرج مقصًا من حقيبة القش، وتقص بعض الشعر من رأسي، بعد ذلك تتراجع وتفحصني لمرة أخيرة بنظراتها بشكل كامل وتستدير وتتهامس مع العجوز البغيض، وينظران إليّ سويًا في وقت واحد، يسألها: هل أنت متأكدة؟ فتومئ برأسها إيجابًا

يطلب من أحد رجاله تسوية حساب تلك الغجرية، ويسحب كرسيًا ويجلس أمامي مباشرة ويطلب من رجاله الانصراف.

وبعد أن أغلقوا الباب يقول: حسنًا ما رأيك في صفقة صغيرة؟

*****

"فاطمة"

من أمام المختبر، اليوم ولدت من جديد، سحبت نتائج التحاليل منذ قليل، وكما قال الطبيب بالضبط، لن أحتاج إلى تدخل جراحي، وإنني ربما لن أحتاج إلى إكمال كل الكورسات، جسدي يستجيب بإيجابية جدًا للعلاج وصحتي تتعافى بسرعة، لم أعد أشعر بالوهن والدوار، حتى إنهم سمحوا لي بتناول عدة أصناف جديدة من الطعام الذي كان ممنوعا عليّ.

توقفت جانبًا لأشتري أيس كريم بنكهة الشوكولاتة – احتفال صغير بمناسبة نجاتي - وسِرت مبتسمة كالمجنونة غارقة في السعادة بفضل الخبر السار، لكنه لم يوقف الأفكار التي تلعب في رأسي لعبة القط والفأر بشأن "عماد"، وأنا في طريق العودة إلى منزل سيدي، خاصة وأنني واثقة كل الثقة بأنه لن يخرج من هناك حيًا تلاشت ابتسامتي كموجة على شاطئ، وبدأت مخاطيف الأسئلة ترسو في

قاعي، لا أعرف ما الذي جلبه إلى هنا برجليه؟ وماذا يريدون منه بالضبط ؟

صراخه بالأسفل مزق خارطة النوم، وظللت كل ليلة أفكر بطريقة لإنهاء هذا، ولكن دون جدوى، لا يمكنني فعل شيء حياله، إلا إذا!

مذكرات "عماد".

العجوز يخبرني بأنه صار يعرف بأني أرى بعض الأحداث المصيرية مسبقًا، ويقول بأني سأساعده في العثور على شيء يهمه جداً ثم يعدني بإطلاق سراحي بعد ذلك وكأنني أتحكم فيما أرى.

أخبرته بأني لا أعرف عما يتكلم فنِلْت حصة مبرحة من الألم، حتى إنه حشر مسماراً في أذني اليسرى فتوسلت إليه ليتوقف، واعترفت!

نال مني، أنا الآن دُميته.

وطفق يتحدث عن ختم في عيني وعن اقتراب اكتمال القمر وكنز يحرسه ملوك الجن سأقودهم إليه لأنني أملك ما يلزم للدخول إلى هناك.
كان يتحدث بجدية وكأنني أعرف القصة مسبقًا وأخفي ذلك.

قال بأني ساحر أو لي علاقة بالمشعوذين وأشياء لم أفهمها، يبدو أن الغجرية قد كذبت عليه في جزئية ما وأنا الآن أدفع ثمن تلك الكذبة.
غادر وقال بأن الغد سيكون موعدنا الأخير لتحديد مصيري الذي يتوقف على مدى استجابتي لأنام أول مرة طبيعيًا بلا أي تدخل بشري.
أقصد اللكمات ومشتقاتها

*****

بعد ساعات أخرى...

دخان كثيف أسود يتدفق عبر النافذة، رؤيا جديدة!

حريق على ما يبدو، لا ليست رؤيا، هذا حقيقي!

تدخل القبو فتاة راكضة خائفة ترتدي حقيبة ظهر صغيرة، من المفترض أني أعرفها، تبدأ بتجربة سلسلة مفاتيح على أصفادي والسلاسل التي تحيطني من كل جانب، ترفع رأسها قليلًا لتحدق بالدخان لينعكس على وجهها الضوء المنبثق من نافذة القبو، بينما أحاول تذكر هذا الوجه المألوف.

"فاطمة" الخرساء؟

لا، لا لا لا .

من المؤكد أن التعذيب أفقدني عقلي.

لكن كيف؟!

لا أفهم؟ "فاطمة" التي تظهر مع كل حادثة حريق هنا وتحاول مساعدتي.

-"فاطمة"، هل هذه أنت؟

-تطبق أصابعها على فمي في محاولة لإسكاتي، وتنجح في فتح أول قفل، تبقى اثنان، أحاول مساعدتها رغم الإصابات، يدي ترتجف

أصوات أقدام مسرعة قادمة نحو القبو!!

تنهض "فاطمة" لتختبئ خلف البراميل المركونة، وأضع يدي خلف ظهري مخفيًا تخلصي من الأصفاد.

يهبط رجال التعذيب من باب القبو ويصرخون: أين هي، أين السافلة، بأعين ناعسة أطالعهم.

يرفس بطني أحدهم، فيما ينظر الآخر في محيط القبو.

السافلة المجنونة قامت بحرق الحديقة وفرت، لكنها لم تبتعد بالقدر الكافي، إنها قريبة أشم رائحتها، وحينما أعثر عليها ستتمنى لو أن السرطان أفتك بها.

ثم يغادران.

تطالعني "فاطمة" من بين البراميل وتتسلل لإكمال مهمتها.

-"فاطمة"، أيتها النحيلة، ما الذي ورطتي نفسك به، وكيف أتيتي إلى هنا؟ أقول في نفسي تفتح جميع الأقفال وتسندني لأقف.

دوار، شعور بالغثيان، آلام جديدة بدأت تكشف عن نفسها بينما أحاول النهوض بصعوبة وأعلم بأنه لا مجال للألم الآن فالوقت يمضي.

-والآن، ما الخطة؟

تجر "فاطمة" برميل بصعوبة لتضعه تحت النافذة وأفهم بسرعة الخطوة القادمة، وأساعدها بوضع الآخر فوقه، وبرميل بجانبه،

وأصعد فوق برميل ثالث منخفض لتبدو البراميل كدرج تقود نحو النافذة الصغيرة، أخرج رأسي بحذر وأناظر يمينًا وشمالًا، إنهم يركضون بعيداً بين الأدخنة، ويحاولون السيطرة على الحريق الهائل الذي اندلع في أغلب الحديقة وبدأ بأكل السياج الخشبي الأخير والزحف نحو نوافذ المنزل والستائر، فيما يحاول العمال والحراس تعطيله.

يصرخ الرجل: افتحوا الماء هنا، افتحوا بسرعة.

أقذف بجسدي خارجًا، وأنبطح ناظرًا للداخل، فيما تناظرني "فاطمة"

أمد يدي، فتتراجع إلى الخلف وتهز برأسها رافضة، هيا يا غبية لا وقت لهذا، هات يدك، إن بقيتي سيقتلونك.

لا تظهر استجابة، فأضطر لسحبها بقوة وجرّها نحو النافذة.

تنهض "فاطمة" بيدها، وطفقت أخبرها بأن الخروج من البوابة مستحيل وسط هذه الفوضى.

تسحب يدي وتركض نحو خلف المنزل حيث مخزن البستاني بالخلف.

-أيمكن أن نجد سلمًا هناك! قلت في نفسي.

-اللعنة الباب مغلقّ قلت وأنا أحدق بـ"فاطمة" ويدي على المقبض.

ترشق "فاطمة" النافذة الجانبية بحجر فيتهاوى الزجاج الفاصل، وفي لحظة خاطفة أسحب السلم من هناك، ثم أعود لسحب بزة البستاني وأكورها في يدي، تساعدني "فاطمة" على حمل السلم وسنده على الجدار، ونحاول بلوغ القمة بأقصى سرعة.

وفجأة!

أصوات إطلاق نار في الخلف وانفجار أعيرة نارية على الجدار.

صياح رجل:

هاهما، أسرعوا بالقبض عليهما، اقتلوا "فاطمة" لكن الرجل لا، اجلبوه حيًا.

أقذف بجسدي بسرعة خارج السور، وتسقط "فاطمة" خلفي، ونستمر بالركض، تتسارع نبضات قلبي ويتخدر الألم في أطرافي، لكن خطوات "فاطمة" تتباطأ شيئًا فشيئًا.

توقفت "فاطمة" فجأة وهى تضع يدها على جنبها وترفعها لتظهر غارقة بالدم الساخن.

سحقًا لقد أصيبت!

وفي الخلف على بعد مسافة تفتح البوابة الحديدية الكبيرة ويخرج أولئك السفلة من خلفها يركضون ككلاب صيد.

بلا تفكير أحمل الفتاة النحيلة في يدي وأضع فوقها بزة البستاني وحقيبتها الصغيرة وأفرّ بها عبر شارع فرعي وأنا

أتنفس بصعوبة وأنهرها بخوف: تماسكي، لا تغمضي عينيك، سنخرج من هنا، سنخرج.

ركضت بأقصى سرعة لخمس دقائق حتى انقطعت أنفاسي، لكن "فاطمة" مازالت تتنفس وتنظر لي بأعين ذابلة تخطيت زقاقًا واثنين وشوارع مظلمة لا أعرف إلى أين تؤدي، أتبعت أقدامي الحافية المتعبة حتى قررت أخيرًا دخول بناية في نهاية الطريق والاختباء بالطابق الأخير، وضعت الفتاة أرضًا بهدوء، وقعدت على ركبتي فوق الأرضية الباردة.

مزقت قطعة من البزة وصنعت منها ضمادات في محاولة بدائية لإيقاف النزيف، تفحصت الجرح، والخبر السار الوحيد كان أن الرصاصة لم تستقر بالداخل، وهذا ما سيمنحنا بعض الوقت، لكن ليس الكثير.

لا أملك أدنى فكرة عما سيحصل أو أين أنا؟

المهم أني ابتعدت مسافة كافية عن الموت، وأحاول الآن تضليله

عن روح هذه اليتيمة التي ظهرت فجأة وورطت نفسها بسببي.

جلست محدقًا بالسقف الذي أكلته الرطوبة وأصبحت زواياه مستعمرة للصراصير.

لم يمض الوقت كثيراً حتى وضعت رأس الفتاة أرضًا بروية ارتديت بزة البستاني، متسخة، كبيرة، لكنها ستجنبني الكثير من النظرات المحرجة والشكوك، قمت بثنْي الأكمام بينما أهبط من الدرج كشيطان مطرود من الجنة باحثًا عن مفاتيح لجحيمه، حتى وصلت الطابق الأرضي، عبر زجاج الباب أرى ظلًا يقترب، كان هناك من سيدخل البناية فاختبأت، خطوات كبيرة تلوج للداخل وتصعد بثقل، تسللت واندفعت خارجا بسرعة، سلكت طرقًا لا أعرفها مرة تنتهي بجدار، مرة بمكب قمامة، مرة بزقاق مسدود وبعد استنفاذ كل المحاولات تقريبًا عثرت على ضوء أصفر ينبعث عبر

زقاق لم أجربه وأصوات أبواق سيارات كثيرة هناك تزف الخطوات التالية في رأسي بحذر.

تقدمت أخرج ما يكفي من رأسي لأطالع الشارع بعين واحدة، كان شارعًا رئيسيًا "جيد جدًا، كل ما أحتاج الآن هو سيارة أجرة وزيارة صغيرة لخائن كبير"

كل ما أحتاج الآن هو رؤية "فوزي"، ووحده اللّه يعلم ما سيحدث به

لكن، لكن لا يوجد نقود، لقد نزعوا كل شيء.

تمر سيارة، اثنان، ثلاثة، لم أواجه صعوبة كبيرة إقناع السائق الأخير بأنني سأعطيه ضعف أجرته إن انتظرني بالأسفل ووافق.

في المقعد الخلفي وطيلة الطريق، لا أرى سوى وجه "فوزي" مقتولًا بأبشع الطرق، سأطعنه وأمزق وجهه القبيح وأنتزع حنجرته وسأجعل الطبيب الشرعي يواجه صعوبات في تحديد جنسه.

فوزي بالنسبة لي شخص سيموت بعد قليل، ولا شيء يشغل تفكيري سوى بأي طريقة سأفعل هذا ومن أين سأبدأ؟

صوت بداخلي يتدخل ليقترح أنه علي أن أبلغ الشرطة عنه وأحتمل العواقب، على الأقل حفاظًا على حياة الفتاة التي ورطت نفسها من أجلي، يكفي دم، يكفي معاناة.

الأفكار تتزاحم في رأسي وترتطم ببعضها ككرات بلياردو من لون واحد فوق طاولة مسدودة الثقوب، حتى تدخل سائق الأجرة ليعلن بأننا قد وصلنا.

فتحت الباب واتجهت نحو العمارة السكنية المزودة ببابين، دخلت من باب وغادرت من الآخر هربًا من ثمن الأجرة، خدعة طفولية قديمة لم تفقد سمعتها بعد، وصلت إلى عنوان "فوزي" ولكن سحقًا!

فلاشات حمراء وزرقاء، سيارة إسعاف، والكثير من رجال البوليس يطوقون الحي، جيران مفزوعين وجثة مغطاة

مستلقية فوق حمالة إسعاف وامرأة تصرخ صرخة تشق السماء، إنها زوجة "فوزي"!!

تبكي بهيستيريا، وأطفاله في حالة صدمة، سرت جانبًا محدقًا بالمشهد ووقفت خلف الحشد المشاهد حيث يقوم رجال الشرطة والمحققين بجمع بعض أقوال الجيران.

صاحب المقهى يقول لمحقق يحاول شم رائحة الشك بأي شيء والبحث عن رأس أي خيط:

-لا لم تكن له عداوات ولا مشاكل إلا مع لاجئ يدعى "عماد"، كل صباح يخبرني بأنه تأخر عن سداد ديْنه ولم يعد يرد على اتصالاته وأنه سيبلغ ويكمل الرجل حديثه بينما "عماد" يتراجع للوراء مفزوعًا بأرجل مرتجفة يحاول السيطرة على نفسه حتى لا يلاحظه أحد، بهدوء يبتعد شيئًا فشيئًا، لقد قتلوه! قتلوا "فوزي"!

سيفتشون هاتفه وسيجدون رقم هاتفي الذي من خلاله ستمنحهم شركة الاتصالات سجلاتي، بياناتي وصورتي والتي ستصبح دليل إدانة يتبعونني من خلاله، سينشرون رجالهم وسيعممون الأوامر على المنافذ والمطارات

وسيضعونني في قائمة المطلوبين في صحف الصباح الخبيثة لتأجيج الرأي العام ضد النازحين من بلدي، أصبحت قضية رأي عام الآن.

لديهم اسمي، ووجهي، وكل الشهود والدوافع للفّ حبل المشنقة حول عنقي.

قضي عليّ، أنا عالق هنا، أنا عالق ومفلس ومطارد، ومسألة شنقي أصبحت مسألة وقت!

أعلم بأن الرشوة لم تفقد سحرها هنا، إلا أنه لا يمكنني الذهاب إلى الفندق الآن لأسترجع بعض المال الذي قد يسهل خروجي، سيكون بانتظاري على البوابة رجال العجوز البغيض بكل تأكيد، حلقة الاشتباه تدور حول عنقي، بإمكاني الشعور بخشونة الحبل.

*****

قرابة ساعة وأنا أبحث عن ذلك الزقاق الذي يؤدي إلى البناية التي تركت بها "فاطمة"، الانتقام أعمى بصيرتي وبدلًا من مراعاة إصابة الفتاة ذهبت إلى "فوزي" الذي أصبح جثة في

صندوق، وجدت البناية بصعوبة أخيرًا وسط شوارع هذا الحي التي تشبه الدهاليز المتشعبة خاصة أن الكهرباء كانت منقطعة بالكامل وقت رجوعي مما صعب عملية البحث، صعدت الدرج بحذر حتى لا يتفطن لي أحد.

وحين وصلت الطابق الأخير صعقت من الفاجعة!

"فاطمة" ليست موجودة حيث تركتها!

اختفت الفتاة!

هرعت للنظر فوق السطح وعند سلالم الحريق لكن بلا فائدة، لا تستطيع المغادرة بإصابتها تلك، لا تستطيع التحرك خطوة، لقد أمسكوا بها، وجدوها، لكن، لكن كيف عثروا عليها؟! أحدث نفسي بينما أركض هنا وهناك كالمجنون وأفتش في كل الأماكن، لقد أفسدت كل شيء، كل شيء، يا لي من غبي، اللعنة عليّ، ما كان يجب أن أبرح مكاني وأتركها بهذه الحالة.

أستحق الموت، أستحق كل ما يحدث لي آآآه.

ضربت برأسي الجدار، وأنا أوبّخ نفسي على أنانيتي التي أفسدت كل شيء ضحّت لأجله هذه الفتاة التي أصبحت

بسببي جثة مؤجلة تحت التعذيب الآن، لا أعلم كيف عثرت علي وما الذي جلبها إلى هنا وماذا كانت تفعل في منزل ذلك العجوز، أنا مشوش ومهزوم، كل ما كان علي فعله أن أحملها للمشفى ولو كلفني ذلك مأزق العثور علي من قِبل الحراس، أنا السبب، الذنب ذنبي.

جلست على الدرج المظلم وضعت يدي على وجهي وتجرعت الدموع لأول مرة منذ طفولتي، بكيت بصوت عالٍ في الظلام .

من بين أصابعي يترآى لي باب الشقة المقابلة ينفتح في وجهي، ويخرج منه رجل ممسك بشمعة لا تظهر من ملامحه الكثير، فقط ما يجعلك تعرف بأنه أربعيني:

-"عماد"؟ هل أنت "عماد"؟ ظننتهم عثروا عليك، يقول "عماد" لـ"فاطمة" المستلقية على فراش داخل شقة الرجل الأربعيني وزوجته تقف على باب الغرفة تأكل أظافرها من القلق وتطلب من أطفالها الدخول لغرفتهم.

تومئ "فاطمة" برأسها ويقول الرجل صاحب الصوت الأجش بنبرة تحسر:

وجدتها تزحف حول الدرج بينما كنت راجعًا للشقة ولم تنطق حرفًا حتى الآن، فتشت حقيبتها ولم أجد سوى اسمك مدون في آخر مذكرتها الصغيرة، حاولت أخذها إلى المستشفى لكنها أبت وعضت يدي وسقطت مجددًا حين حاولت الفرار، بينما يمسك "عماد" بيد "فاطمة" ويقيس حرارتها أسفل الكمادات الباردة، لا لا مستشفيات أرجوك، يطلب الرجل من زوجته إعداد العشاء، ويرمق زوجته بنظرة أن تطيل الوقت ليأخذ راحته في الحديث مع "عماد".

من أنتما؟ وماذا الذي حدث؟ هل أنتما هاربان من شيء؟

من أشياء، يقول "عماد" بعد أن أطمئن على استقرار حالة "فاطمة" مبدئيًا، اعتبرني أخاك وأخبرني بما حدث قد يمكنني أن أجد لك مخرجًا من ورطتك، ثق بي.

يصطحب "عماد" إلى غرفة أخرى، فيستند على الجدار بظهره ويطلق تنهيد عميقة.

يناوله الرجل سيجارة لتساعده في استرجاع الأحداث، يقول في نفسه: لا أعلم لماذا سأخبره، وما الذي سيترتب على ذلك من عواقب، لكنني لم أعد أملك ما أخسره، وهو الآن

الوحيد الذي يبدو في صفي، ثم يطفق يتحدث بصوت واضح :

بدأ كل شيء قبل يوم من أحداث الثورة في مدينتي، يمضي الوقت ويشرح "عماد" كل شيء، سيجارة، اثنتان، ثلاث، تمتلئ المنفضة بالسجائر ورأس الرجل بالتكهنات، وتتناوب على وجهه ملامح الشك تارة، والذهول تارة أخرى، بعد العشاء، كي أكون صريحًا معك أجد صعوبة في تصديق بعض الأجزاء من قصتك لكن، يقاطعه "عماد":

-هذا ما حدث أقسم لك، أعلم بأنك تظنني مجنون وكاذب، لكن هذا ما حدث.

-على كل حال، أنتم اليوم ضيوفي، ستقضون ليلتكم هنا حتى نجد حلًا لكما.

غادر الرجل الطيب بعد أن وظب لي فراشي وأطفأ الأنوار، استلقيت هناك وحاولت إفراغ رأسي من كل شيء دون جدوى، أشعلت سيجارة، اثنتين، وبدأت بتخيل الخرفان البيضاء تقفز من فوق السياج، عددت من الصفر إلى المائة

ولم يفلح الأمر، بينما أنصب الفخاخ للنوم وأخدر تفكيري بحيل قديمة تبعد عني سلسلة الرؤى تلك، فجأة دون مقدمات، جاء النعاس فجأة مصحوبًا برؤيا مشوشة.

إضاءة خافتة جدًا داخل خيمة سوداء كبيرة، مكبل، أقف داخل دائرة كبيرة تتوسطها نجمة خماسية حمراء وعدة حروف بلغة غريبة مخطوطة بدماء، تبدو دماء بشرية طازجة.

نار تشتعل!!

طلاسم بلهجة مرعبة تحرك ألسنة النار وتصيب مقلتي بألم فظيع، كأنهما سيخرجان من مكانهما وعن يميني امرأة عجوز بملابس غجرية تحادث ملثمًا لا تظهر منه سوى أعين ماكرة وتجاعيد عميقة حولهما:

- إنه يرى ما نريد وبإمكاننا الاعتماد عليه في الدخول، لا أعلم كيف وصل إليه هذا، لكن المهم أنه هنا وسيحقق مرادنا، ونتخلص منه، لن يهرب هذه المرة، ولن ننتظر خمسين سنة أخرى.

عجوز غجرية لعينة رأيتها من قبل!

حاولت الاستيقاظ من الرؤيا، جربت إغماض عيني بقوة لأخرج من هذا الكابوس اللعين، بهتت الرؤية، ليبدأ مشهد آخر.

بئر جاف مزود بسلم قديم مصنوع بطريقة بدائية جداً ليصلك إلى قاعه الذي يقود نحو نفق يتسع شيئًا فشيئًا ليصبح ممرًا طويلًا ينتهي بك في بداية كهف أسود،عجوز ملثم يسير بجانبي ويفتح كتابًا قديمًا جدًا بغلاف يتوسطه نحت غريب. أرتجف متقشعرًا وتصطك أسناني في فمي وتقف كل شعره في جسدي مع الطلاسم المتصاعدة بصوته المبحوح، أرجلي تتبعانه رغمًا عن أنفي، بدأت أصوات غريبة ومرعبة بالاقتراب من الداخل، نعيق طيور ليلية، ثم صراخ، وفجأة بدأ الجنون.

تخرج من نهاية الكهف جياد مسرعة مقطوعة الرؤوس تجر خلفها عربة تحترق، تجحظت عيناي من الهول ولا أستطيع إطلاق صرخة.

جفوني مقطوعة، نعم مقطوعة لهذا لا يمكنني إغماض عيني، تقترب عربة الجحيم وأستند على الجدار لأتحاشى دهْسها لي، وخلفها تسير مخلوقات أقبح ما يمكن أن تشاهد وفوق ما يمكن أن تتصور، عفاريت بأعين واحدة حمراء، نساء مسلوخة بأجنحة خفافيش وألسنة أفاعي وأعين بيضاء، وحوش، أقزام، أفاعي سوداء كبيرة تنتشر في كل مكان، ثم هزة عنيفة تكفي لجعل بعض قطع السقف بالانهيار، صوت دف منتظم !! أنظر خلفي لأجد مرافقًا آخر للعجوز يمسك ببندير، وثالثًا يبخر الطريق بمبخرة، وفي الخلف العجوز الغجرية في آخر الصف ترمقني بنظرات حادة. الجميع صامت ويتقدم ولا صوت غير فحيح الطلاسم والعفاريت الزاحفة والطائرة والمشاهد المجنونة ورائحة الشعر المحترق والدم

العجوز تدفعني بعكازها لأكمل السير، فيصطدم برأسي شيء
وأستيقظ، مع أذان الفجر! غارق في العرق وأحاول التقاط أنفاسي، اللعنة اللعنة.

*****

لا شك أن تلك الرؤيا قد سدت في وجهي كل الطرق وجعلتني أفكر أكثر من مرة في أي خطوة مستقبلية خارج هذه الشقة، سحر وجن وطلاسم، لا يمكنني التقليل من شأن هذا، كل ما رأيته سيحدث، كل ما رأيته حقيقة.

يصعق "عماد" بمرور رجل يرتدي ملابس قوات أمنية من أمام الغرفة التي ينام بها مودعاً صاحب المنزل ويطبق الباب من خلفه بهدوء، ومن خلفه يتفاجأ صاحب الشقة من استيقاظ "عماد"، يدخل الغرفة ممسكاً بكأس شاي.
-آه لقد استيقظت إذن، لدي أخبار سارة لك، أعتقد بأننا حصلنا على طريقة تخرجك من هنا.
يسأل "عماد" مشككًا:

- ماذا تفعل الشرطة هنا؟ وكيف سأخرج والجميع يبحثون عني؟

يرد صاحب الشقة:

-ستخرج مع من يبحثون عنك.

-لم أفهم، يقول "عماد"!!

يرد الرجل: من خرج للتو ابن عمي وهو يعمل في قوات الأمن، بإمكانه تسهيل أمر خروجك من المدينة.

-كيف؟

صباح اليوم كان هنا لشراء بعض الحاجيات من حسن حظك، يأخذ رشفة شاي ويستأنف قائلًا:

تحدثت معه بشأنك وتستطيع القول بأني نجحت في إقناعه بنقلك مقابل بعض الأتعاب.

يقول "عماد" في نفسه: آه فهمت، إنها خدعة، لا يوجد من سيفعل هذا، هذا السافل الخبيث يحاول استثمار قلة حيلتي

ويريد أن يقبض أي ثمن قبل أن يقوم ذلك الوضيع بجلب المساعدة ليقبضوا عليّ، سأوضح له الأمور أكثر.

ولكن يسبقه الرجل بنبرة مطمئنة مع ابتسامة ماكرة:

-الأساور التي في حقيبة الفتاة تكفي لشراء ورديته وصمتي، رتبت كل شيء، على تمام الرابعة مساءً سيأتي لينقلكما إن كنت موافقًا.

يقول "عماد" في نفسه متفاجئًا مدركًا حقيقة أخرى:

-صار واضحًا بأن "فاطمة" نهبت شيئًا من منزل العجوز لنتصرف بثمنه، وهذا الجشع كان مستعدًا ليستغل الفرصة، لا شيء مجاني بالطبع، لكن إن كان حقًا ما يقول إلى أين سنتجه؟

يقول الرجل وكأنه سمع ما يدور في رأس "عماد":

أقترح أن تبتعدا عن المدن وتقطنا في المناطق الريفية حتى تهدأ الأوضاع، إلا إذا كنت تملك حلولًا أخرى، كلي أذان

صاغية، خصوصًا بأن حالة الفتاة مستقرة نوعًا ما حتى الآن، ولكن قد تتفاقم الأمور فجأة ونجد أنفسنا مجبرين على زيارة المستشفى وهناك تبدأ سين وجيم أو مشاهدتها تحتضر هنا، من يدري؟ لن يمكننا حتى دفنها آنذاك!

-"عماد" بضيق: لا أعلم حقًا.

- هناك يمكنك أخذها إلى أقرب مستوصف وستكون الأمور بخير، ابن عمي لديه علاقات جيدة ويمكننا القول بأنها مناطق نفوذه، وهذه ليست أول رحلة له.

يخفض "عماد" نظره إلى الأسفل ويدخل في نوبة صمت حائرة،
ليجد نفسه في ضيق بلا خيارات متاحة وليس أمامه سوى هذه المجازفة، وفجأة تطرأ في رأسه فكرة يترجمها فوراً إلى سؤالين:

-هل حدثته بشأن "فاطمة"؟

-لا.

-جيد جداً، هل بإمكان ابن عمك هذا إيصالنا إلى أقرب مرفأ بحري؟

-المسافة بعيدة، لكن لا أعتقد بأنه سيعترض طالما أن تكاليف الرحلة قد دفعت له لكن لماذا؟ وفي ماذا تفكر؟

-سنغادر بحراً.

- كيف؟ بتهكم يسأل الرجل.

-تشتهر تلك المنطقة بالهجرة غير الشرعية، هل نسيت؟

-لا، لكنك لا تملك ما يكفي لثمن رحلة مضاعفة ولا أظن بأن الفتاة قادرة على احتمال مشقتها.

يرد "عماد" مردداً: سأتدبر أمري هناك، سأتدبر أمري.

بنبرة محذرة يقول الرجل:

سمعت الكثير من القصص السيئة التي تحدث للمهاجرين غير الشرعيين هناك، سمعت بأنهم يقتلونهم في نصف الرحلة، الحكومات الأوروبية لا ترغب في استقبالهم وترسل

خفر السواحل لاعتراضهم وسط البحر والمهربين أيضًا يطلقون الرصاص من مراكبهم على محركات القوارب الصغيرة بعد أن تدخل المياه الإقليمية لهذا بعض الجثث تصل متفحمة إلى الشاطئ.

يرد "عماد":

أفضل أن أصبح جثة في مشرحة بجامعة روما أو مشروع تخرج لطالبة تدرس الطب على الذهاب الى السجن.

يطلق الرجل تنهيدة تبدي يأسه ويطفق قائلًا:

-القرار قرارك أنت وحدك من سيتحمل العواقب.

-أبلغه بأني موافق وأطلعه على المستجدات الأخيرة.

- أوروبا إذن.

-أوروبا.

******

"نبيل"

يقولون للمرء من اسمه نصيب، وهذه أكبر كذبة في التاريخ، اسمي "نبيل" 30 سنة، رجل أمن فاسد، أحرس الوطن نهارًا وأبيعه ليلًا،

بيع الورديات لمهربي البنزين والأدوية المنتهية الصلاحية لا تجني ما يكفي لسد احتياجاتي، في حقيقة الأمر نتلقى مبالغ جيدة مقابل ذلك، لكن بعد أن نتقاسمها مع بقية الحراس تصبح أقل من رشوة رجل مرور لسحب مخالفته، لذا قدمت الكثير من التسويات للآمر حتى أستلم سيارة من سيارات الاستطلاع ذوات الدفع الرباعي، مقابل أن أتقاسم معه مناصفة ما أجنيه من رشاوي وابتزاز وتأمين التوصيلات، مستغلًا وظيفتي وبزتي وتصريح السيارة الذي يمنعهم من تفتيشي، رجل في مكاني كان من المفترض به الآن أن يجلس على الأريكة يشاهد مباراة كرة قدم معادة أو برنامج من سيربح المليون، ثم يساعد طفله في تلوين

دفتر الرسم، فيما تنشغل زوجته في تحضير العشاء كأي عائلة سعيدة، لكن نهايات ديزني هذه لم تكن من نصيبي،أعاني من سلسلة أمراض ومشاكل أبرزها أن موعد إيجار الشقة قد اقترب، الشقة التي بها زوجة تعيسة بلا أطفال حتى اليوم، بعد 3 سنوات من زواجي بلا نتائج، وبعد أن بدأ أقاربنا بمضغ مشكلتنا وأنا أشاهد كحكم كرة تنس نقل العيوب مني إليها وإليها مني، مثل أي رجل صالح توجهت نحو طبيبة شهيرة، بعلاج أمراض العقم، وبعد صعوبات، بعد إنجاز عدة مهام مني وبيعها لأقراطها، وفّرنا ثمن العلاج، أعلم بأني لن أنجب طفلًا يكتشف علاج الإيدز أو يجلب لبلده كأس العالم، لكني لا أود أن أموت أو أقضي ما تبقى من حياتي النتنة في السجن قبل أن أسمع كلمة" بابا".

تصوروا ماذا؟ نجح الأمر، نجح العلاج، بدأت الحياة تشرق والبطن تكبر شيئًا فشيئًا، ووجدنا لأفواه الأقارب عملًا غير سيرتنا.

كانت طفلة؟ نعم.

شاهدناها سويا في تلفاز المشفى كانت كثيرة الحركة.

قلت ستصبح محامية فقالت أمها:

بل طبيبة فقد أحببت هذه المهنة التي كانت سببًا في سعادتنا الصغيرة

تجادلنا، ثم اخترنا لها اسمًا، واحتسبنا الأشهر بالساعة، عمرها الآن 8 أشهر وأسبوعان وعدة ساعات، هي على مشارف أن تبصر النور وتضيء عتمة حياتي.

صباح اليوم، كنت في المدينة لأشتري لها فستانًا أزرق صغيرًا مع سرير أطفال، ودبًا قطنيًا فكرت جديًا بأن أتوقف عن أعمالي القذرة هذه بعد أن ضحكت لي الدنيا أخيرًا.

هذه الضحكة التي بسببها شطبت من حياتي كلمة "لا" وقمت بتأمين دخول أي شيء ممنوع، مخدرات، سلاح، قطع الآثار، منقبين عن الذهب؛ مهاجرين غير شرعيين، تجار الأعضاء البشرية وحتى الإرهابيين الذين عبروا الحدود ونقاط التفتيش ليفجروا أنفسهم وسط أسواق المدن والأبرياء(5)".

لكنها للمرة الأولى التي أقوم فيها بتهريب جثة، وستكون الأخيرة بالطبع، الأمر ليس مرعبًا بقدر ما يبعث في رأسي الكثير من التكهنات والوساوس، لمن تعود الجثة؟ وما الذي يدفع الرجل للهروب برفقة قضية قد تكلفة 25 سنة سجن، ولماذا المرفأ؟ هل هو تاجر أعضاء بشرية؟ لا أفهم، عالم غريب، إنها أغرب رحلة أخوضها، والمهم أنها آخر عملية، بعد ذلك سأعيد السيارة وأقدم طلب نقل لأي منطقة أخرى وأبدأ من الصفر حياة جديدة مع عائلتي.

يلتف "نبيل" إلى المقعد الذي بجانبه ويقول:

الآن سننعطف لنسلك هذا الطريق لنبتعد عن المتاعب الأمنية فليس لدينا ما يكفي للجميع هنا، مرحبا بك.

"ينهي كلامه ويضع يده على الراديو محاولًا البحث عن إشارة "عماد" في المقعد المجاور:

"لا أثق به، كان علينا أن نقنعه بأن الراكب الثاني "فاطمة" هي مجرد جثة حتى لا نقع في ألاعيبه ونظهر في موقف ضعف يدخلنا في موجة ابتزازات ومقايضات وقد يتفق مع

رفاقه لنصْب كمين لنا في الطريق ونجد أنفسنا في ورطة جديدة، أعرف بأني أبالغ قليلًا، لكن التجارب السيئة لم تترك لي خيارًا"

مضت 4 أو 5 ساعات على مغادرتنا، وحوالي نصف ساعة على ارتدائي بزة أمن احتياطية لتمويه نقاط التفتيش، كانت فكرة هذا الذي ينزوي بجانبي، قبل قليل قدم لي سيجارة كعربون صداقة، خدعة قديمة لأفتح له صدري، بعد ذلك سألني عدة أسئلة عما حل بوجهي ويدي فأنهيتها بفظاظة، والآن دوري، كم تبقى على الطريق؟

يسأل "عماد" بضيق؟

يجيب "نبيل":

- ليس الكثير، كنا لنكون الآن في المرفأ لولا وجود الجثة بالخلف، لدي بعض المعارف على نقاط التفتيش الذين سيسهلون الأمر لو أن بضاعتك كانت مختلفة يا صاح، لكننا سنضطر إلى سلك بعض الطرق الملتوية لتخفيف متاعب الرحلة.

- نعم، لابأس، لابأس.

ينظر "عماد" في مؤخرة السيارة حيث تئن "فاطمة" أسفل الجالونات الحديدية التي تحاصرها من كل اتجاه وكأنها في قبر متحرك،

يخفف "نبيل" سرعته شيئًا فشيئًا بعد أن صارت الطريق فارغة ووصلوا إلى منطقة قاحلة.

يحبس أنفاسه، ويضع يده تحت كرسيه.

ينقبض قلب "عماد"!

ليتفاجأ بصحن مغلف بورق قصدير يخرجه "نبيل" من هناك، ويطفق قائلًا:

هذه الوجبة صنعتها لك زوجة ابن عمي لأنك غادرت دون أن تتناول شيئًا منذ البارحة، وطلبت مني أن أعطيها لك لاحقًا بينما كنتم منشغلين بنقل الجثة للخلف، بصراحة فكرت بأكلها لوحدي لكن أرى أننا سنتقاسمها، لن تمانع أليس كذلك هههههههههه.

يشك "عماد" بأن الطعام قد دسّ به سم أو منوم ويرفض من باب الحذر لكن بعد إلحاح شديد من "نبيل" يقرر أن يفتح

الصحن ويحرك محتواه في كل اتجاه ليوهمه بأنه قد تناول شيئًا، لكن يتفاجأ بجسم صلب أسفل الصحن بعد أن حركه تحسسه بإصبعه، يسحبه ببطء ليتبين بأنه آخر ما يمكن أن يتوقعه.

هدية من السماء، شيء غير متوقع.

أسورة ذهبية!

واحدة تلك التي نهبتها "فاطمة" من منزل العجوز الثري، هذا سيساعدنا كثيرًا، كثيرًا جدًا.

يسارع "عماد" بتخبئتها أسفل فخذه ويخفي فجأته ويغمض عينيه بشدة ممتنًا لـ"فاطمة" وزوجة الرجل.

تغيب الشمس وتبدأ خطورة الرحلة المظلمة تزداد في الطرق المتقطعة الوعرة والصخور الكبيرة المتراكمة على حواف الممرات المنحدرة وبعد إطفاء مصابيح السيارة تزداد الأمور صعوبة وتجعل سرعتهم لا تتجاوز 40 ك/م من حين لآخر، ينطلق "نبيل" مسرعًا بعد تجاوزه المنطقة،"عماد" أخذ للتو غفوة لتقصير مشقة الطريق التي بدأت تصيبه

بالغثيان، ويستيقظ على ارتطام رأسه بالزجاج بسبب توقف السيارة بشكل مفاجئ مما جعله يصرخ بسخط وهو يتحسس جبهته،

مستغربا "نبيل" يسأل:

-تبًا، ماذا هناك بحق الجحيم، ما هذا، ما الذي أتى به إلى هنا؟

-من؟ ماذا؟ أين، ينظر "عماد" للمرآة ويترآى له بالخلف طيف أسود أحدب الظهر يقف بمحاذاة الطريق ممسكًا بمصباح زيتي ويلوح بعكازه.

يعود "نبيل" بناقل الحركة لترجع السيارة إلى الخلف.

"عماد" بسخط: ما الذي تفعله؟

"نبيل": سأتحقق من هذا، قد تكون أمامنا عصابة قطاع طرق ويحاول تنبيهنا، تقف السيارة على مقربة منه.

- مرحبًا يا عم، هل أنت بخير؟

-لا يرد، فقط يحدق في الظلام.

-هل هنالك خطب؟

يسأل "نبيل" مجدداً؟

يقترب العجوز باتجاه نافذة السائق بخطوات ثقيلة مستفزة وينخفض قليلًا ليصوب نظره نحو "عماد" فقط، دون أن يرفع عينه أو يغمض جفن.

يرفع مصباحه الزيتي بما يكفي لينقشع الظلام بداخل السيارة وينكشف وجهي "عماد" و"نبيل" بوضوح، ويرى "عماد" من جهته عيني العجوز!
إنه هو، إنه هو.

المشعوذ الملثم الذي رآه في منامه برفقة الغجرية!!

تنقطع أنفاس "عماد" وتشل حركته وتتجمد أطرافه من شدة الرعب.
-لعنة اللّه، لعنة اللّه، اهرب، اهرب، ينهر "عماد" "نبيل" مرتجفًا.
"نبيل":

-ما بك، هل جُننت؟

-اهرب قلت لك اهرب ستقتلنا.

يرفع العجوز عصاه ويغرغر ببعض الكلمات غير المفهومة ويضرب سقف السيارة، مما أفزع "نبيل" وجعله يضغط بلا انتباه على دواسة الوقود وتنطلق السيارة مسرعة و"عماد" يصاب بالدهشة ذاتها التي تزوره كلما زارته رؤيا، يحاول التقاط أنفاسه وينظر للخلف يمسك برأسه ويعصره بكلتا يديه ولا ينطق ببنت شفة، يصيح "نبيل" وصرير الرياح المحملة بالأتربة يعلوا بالداخل بسبب السرعة التي وصلتها السيارة:

- أفزعتني، اللعنة عليك ما بك؟ من هذا؟

يرد "عماد" مرعوبًا:

-إنه مشعوذ، مشعوذ قاتل ويلاحقني.

- مشعوذ؟ كيف؟ كيف عرف مكانك؟ أنت تهذي؟ ماذا يريد منك ثم ما الذي أتى به إلى هنا لا أحد يقطن بالجوار!!

احترس يصرخ "عماد" بخوف وعيناه غارقتان في الرعب.

تنجرف السيارة يمينًا نحو منحدر وتتساقط بعض الجالونات من مؤخرة السيارة، تتقلب "فاطمة" من شدة الألم وتصدر أنينًا مكتومًا يحاول "نبيل" أن يرجع توازن السيارة فتنجرف بسرعتها نحو كوم صخري يسارًا فيسحبها نحو الطريق الذي يقف في وسطه ما لا يكن في الحسبان، العجوز اللعين مجددًا أمامهم ويلوح لهم ببرود!!

ماهذاااا ماهذاااا بحق اللّه! يصرخ "نبيل" آخر صرخة، ويدوس الفرامل بعد فوات الآوان، يرتطم رأس "عماد" بالزجاج مجددًا بقوة شقت الزجاج كادت أن تفقده وعيه، ويضع "عماد" يده على وجه ويجد أن هذه المرة بدأ الدم يسيل من الجراح في رأسه وأنفه.

-دهسناه دهسًا، استحالة أن ينجوا، سمعت عظامه تسحق بوضوح تحت إطارات السيارة كان يشبه صوت قضم رزمة جزر دفعة واحدة.

-ما هذا بحق اللّه، يقول "نبيل" مذعورًا وأسنانه تصطك في فمه وهو يحاول التقاط أنفاسه ثم يأمر "عماد":

انزل، انزل وشاهد ماذا حصل.

يرفض صارخًا "عماد" والعرق والدماء يتصببان منه،لا ، لا لا لا فلندعه ونكمل طريقنا لا أحد رأى ما حدث، فالنتحرك هيا، لا تورطنا أرجوك.

يصرخ "نبيل" مرعوبًا: هل أنت مجنون؟ لقد قتلنا رجلًا للتو، قتلناه أتفهم؟ سأنزل لأرى، سأنزل لوحدي.
يفتح الباب، يسحب مصباحًا ببطاريات من الدرج، ويترجل من مقعده في الظلام باحثًا عما تبقى من جثة العجوز ولكن المفاجأة!!
لا دم لا جثة، لا شيء على الأرض ولا في الجوار سوى أثار العجلات والغبار الذي خلقته الفرامل، الأمر الذي جعل "نبيل" يمسك برأسه ويدور حول نفسه عدة مرات لاستيعاب الحدث، يراقبه "عماد" بقلق شديد ثم ينظر للمرآة ليفزع مجدداً باختفاء انعكاس صورة "نبيل" فيها، يلتفت فيجد العجوز يتقدم ببطء نحو "نبيل" وكأنه لم يصب بأي أذى وكأن الذي تم سحله قبل دقائق ليس هو، يصرخ "عماد" بقوة من النافذة:

-"نبيل" إنه خلفك، إنه خلفك، احذر.

بذعر يلتفت "نبيل" بسرعة ولا يجد شيئًا، ينظر "عماد" إلى المرآة مجددًا ليرى العجوز يستمر فالتقدم وحين يلتفت تجاه "نبيل" لا يجد شيئًا أيضًا.

ما هذا، ما الذي يجري يا للهول، يتنفس بسرعة، قلبه يخفق بقوة

بدأ يستوعب ما يجري ويتدارك الأمر، يستدير ويصرخ بخوف عصبي

عد، عد إلى هنا بسرعة، يصرخ "عماد" بأعلى صوته عد وإلا سأتركك، عد يا "نبيل" .

"نبيل" مستمر في البحث والدوران حول نفسه "عماد" يصرخ ويقرر أخيرًا القفز في مقعد السائق والدوس على دواسة البنزين فيصدر المحرك المختنق صوتًا عاليًا يجبر "نبيل" على الركض عائدًا، "عماد" يرفض التنحي عن المقود مع محاولات "نبيل"،"نبيل" يتقبل الأمر بسرعة ويحاول القفز بالمقعد الآخر ولكن انطلاقة السيارة تعيق توازنه وكادت أن تسقطه خارجًا، يصرخ "نبيل" في "عماد": من أنت وما هذا

وما الذي يحصل هنا؟

-"عماد": أخبرتك بأنه مشعوذ لعين، أخبرتك ألا تتوقف، لعنه اللّه، انظر للمرآة، عينا "نبيل" تتسعان، يتشنج ولا يفهم شيئًا، ولم يعد يتكلم، العجوز مجددًا يظهر، وهذه المرة يركض صوبهم بسرعة جنونية مرعبة.

تحت تأثير الصدمة "عماد" و"نبيل" مهلوعان، يرتجفان، الْتوت ألسنتهم، عاجزان عن تفسير شيء، يضغط "عماد" بكل قوته على دواسة البنزين بينما "نبيل" ينظر للخلف.

وفجأة!!

شاحنة سوداء كبيرة تخرج من العدم تسد طريقهم دون سابق إنذار

"نبيل" يصرخ بهلع شديد صرخة أخيرة متأخرة:

- اااااااااحذر.

يحاول "عماد" الانعطاف مبتعدًا ولكن سرعتهم لها رأي آخر تنجرف سيارتهم بعيدًا نحو جرف صخري ويفقد السيطرة عليها

تتموج يمينًا ويسارًا، وتنقلب!

******

مذكرات "عماد"

رائحة لعينة، أدخنة في كل مكان، لم يعد يرعبني شيء، احترق "نبيل" في السيارة هكذا يقول الرجال الذين نقلوني إلى عربتهم نحو المستشفى، كان بإمكاني شم رائحة شعره المحترق طيلة الطريق،

نجوت بأعجوبة بعد أن قذفتني السيارة خارجًا بينما كانت تنقلب، لتعثر عليّ دورية استطلاع.

الخبر السيئ ،أنا حي، الخبر الأسوء في السجن، مثل السجن الذي كنت أعمل به طيلة سنوات، دخلته اليوم ببدلة حمراء تلك التي كنت ألبسها للمجرمين قبل وداعهم، وجهت لي المحكمة عدة تُهم أبرزها انتحال شخصية رجل أمن وقتل "فاطمة"!

لفَّقوا لي تهمة قتلها وقالوا بأني استعنت بـ"نبيل" للتخلص من جثتها بعيداً لكن الحادث الذي وقع أحال بيني وبين ذلك،

هذا ما أفاد به شهود دورية الاستطلاع الذين كانوا يلاحقوننا في تلك الرحلة حتى يقبضوا على "نبيل" متلبسًا!

لم أدافع عن نفسي، ولم أنطق بحرف في غرف الاستجواب، وأمام القاضي في كل الجلسات.

في البداية وجهوا الأسئلة وبعد ذلك استخدموا طرق التعذيب التقليدية، ثم أخيرًا قاموا بتقديم عرض تخفيف الحكم، ولم أنطق بحرف واحد، قبل كل ذلك، قبل المحاكمة والتحقيق، وأثناء تلقي العلاج بينما كنت في المشفى أفزعني من نومي رجل ملثم، لكنه ليس المشعوذ!

كان يبدو كمرشد أو دليل للتائهين، وكان يتحسس عيني بأصابعه الخشنة حتى استيقظت فغادر دون أثر.

في ذلك اليوم أتتني رؤيا أخيرة مختلفة ومتأخرة وضحت لي كل شيء.

القرنية التي قام الطبيب بزرعها لي كانت سبب كل شيء، كانت لشخص حاول الدخول إلى كهف مسكون أسفل المنطقة الأثرية شرق البلاد، كهف وقعت به حوادث كثيرة ويأتي المشعوذون من شتى الأصقاع إلى هنا من أجل

الحصول على خاتم أسطوري، خاتم يسخر إخراج كنوز مدفونة ويمنح مالكه قدرات شيطانية وخلوداً أبديًا

شرط أن يقوم بالمهمة شخص بمواصفات خاصة، يمتلك خطين كاملين في كفوف يديه من بداية الكف إلى آخره، أو الختم الذي يشبه نقطة فوق الحدق.

وهذا ما تحدثا عنه الغجرية والعجوز.

كنت أملك كلاهما، وهذا ما جعلني مطمعًا لهم، كانت علامات تتيح لصاحبها وحده رؤية الشياطين وتمنحه صلاحية الوصول إلى مرادهم في نهاية الكهف، لينتزع الخاتم بعد الخوض واجتياز الوحوش والعفاريت بقراءة طلاسم قديمة من المساعدين.

لم تكن مهمتي نزع الخاتم فحسب، كانت ترتكز بالأساس على أن أحلم قبل ذلك بالكهف حتى نصل إلى نقطة أخيرة يتفرع منها الكهف إلى ثلاثة كهوف: اثنين منها تمويه أودى بحياة الكثيرين فوراً حينما خطت أقدامهم بداخلها، وواحد يحوي الخاتم.

ولأني فقط من سيراه ويستطيع الاقتراب منه دون أن يحترق، ولأني فقط من سيتلاشى أمامه حراس الكهف قبل الاصطدام به، لهذا كانت العجوز ومساعدوها يسيرون خلفي في ذلك الكابوس.

في حال الفشل أو التراجع أو الهروب من هذه المهمة ستلاحقك الرؤى الخبيثة حتى تفتك بك، وبكل من يرتبط بك.

إنها لعنة قديمة أعيد تفعيلها وحصدت أرواح الكثيرين، وهذا العقاب لا مفر منه.

لذا لا توجد سوى طريقة واحدة للتخلص من كل هذا، ألا تنطق بحرف من بعد معرفتك للسر حتى تموت وقبل ذلك تبحث عن شخص آخر لتورطه في مهمتك الشيطانية، هذا ما اكتشفه المتبرع السابق وتورطت أنا به، بالحديث عن الموت، لم أخبركم بالشيء الوحيد الذي فاجأني بالمناسبة، القرنية التي أحاول التخلص منها الآن كانت من متبرع يدعى ن.م، بشكل أوضح "ناصر محمود"

أتعرفون من "ناصر" هذا؟ إنه آخر شخص قمت بشنقه

قبل أن أفقد عملي، وعيناي، وعقلي، في حادثة الباص "ناصر" كان متهمًا بافتعال حريق أدى إلى موت زوجته وأطفاله، هل هذه مصادفة؟ لا أعلم.

يضع مذكرته جانبًا، ينهضه الحراس من ساعديه ببدلته الحمراء، ويكبلون عنقه بيديه وأرجله بسلاسل ثقيلة، يسلم وصيته لآمر السجن ويغادر الزنزانة رقم (9).

نحو غرفة الإعدام

وهناك ينتهي كل شيء بسؤال الرجل: هل لديك أمنية أخيرة ؟

ولا يوجد رد.

تمت

الهوامش

(1) عن مقدمة وثائقي حول عالم الإجرام.

(2) عن لقاء "أحمد يونس" مع الجلاد المصري "عشماوي" حلقة حقائق مرعبة من داخل غرفة الإعدام.

(3) عن لقاء "أحمد يونس" مع الجلاد المصري "عشماوي" حلقة حقائق مرعبة من داخل غرفة الإعدام.

(4) إيماء عن حفلة غاتسبي.

(5) اعترافات مهرب.

*****

الفهرس

إهداء 5
تنويه 6
نازح 39
"فاطمة" 47
مذكرات "عماد" 50
مذكرات "فاطمة" 53
"نبيل" 105
الهوامش 125
الفهرس 126

ديستوبيا

الرواية الفائزة بمسابقة ببلومانيا للرواية العربية

حقوق النشر والتوزيع محفوظة

ببلومانيا للنشر والتوزيع